

1

# اللغة العربية بين الأمل المنشود والواقع المرصود



إعداد  
محمد طلعت هلال

إعداد  
أحمد مبروك أبوزيد

إعداد  
مصطفى حمدي مسعود

الطبعة الأولى  
2018

## الفهرس

١	الفهرس
٢	مقدمة البحث
٤	مفهوم اللغة عند القدماء
٨	مفهوم اللغة عند المحدثين
١٣	وظائف اللغة
١٦	اللغة وسيلة اتصال
٢٢	اللغة وسيلة تفكير
٢٥	اللغة وسيلة لتسجيل المعارف الإنسانية
٢٧	اللغة وسيلة لتنمية المهارات اللغوية والأدبية
٣٤	اللغة توصف نفسية المتكلم
٣٨	اللغة مكتسبة
٤١	أسباب الانصراف عن اللغة
٥١	محاولة القضاء على اللغة بشتى الطرق
٥٧	تورطنا في تدهور اللغة
٥٩	ما تحتاجه منا لغتنا العربية
٧٠	سبب تدهور اللغة العربية
٩٢	مقتطفات من لغتنا الجميلة
١٠٠	الخاتمة
١٠٣	المراجع

## اللغة العربية بين الواقع المرصود والأمل المنشود

مقدمة ،،

قبل البدء في هذا الموضوع أحبُّ أن أؤكد على حقيقةٍ تفرّدت بها اللغة العربية من بين سائر لغات البشر؛ فقد أختارها الله - سبحانه وتعالى - لتكون لغة كتابه الكريم ولغة سنة رسوله محمد - صلى وهذان الأصلان: القرآن والسنة، يُمثّلان مع ما دار حولهما من علوم وشروح منهج الله الله عليه وسلم - تبارك وتعالى - فقد قال - تعالى - : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ أي إلى البشرية عامّة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وقال : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ .

وقال : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ .

ومع أن العربية قطعت منذ بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - أكثر من ألف وأربعمائة عام، إضافة إلى مائتي عام على الأقلّ مستوية على عودها قبل بعثته - صلى الله عليه وسلم - فعمرها بهذا يزيد على ألف وستمائة عام، فما تزال حيّة نابضة، لغة للأدب والعلم، على حين الفترة المشار إليها لا يمكن أن تمرّ على لغة من لغات البشر إلا حوّلتها إلى لغة تاريخية، أو حوّلت لهجاتها إلى لغات تباعد ما بينها وبين اللغة الأمّ، حتى صارت اللغة الأمّ لغة متخفية أو لغة تاريخية مقصورة على من يقصدها بالدراسة العلمية؛ كالكلاسيكية ولهجاتها، والسامية الأولى ولهجاتها، والهيروغليفية مثلاً .

هنالك العديد من الآراء والروايات حول أصل العربية لدى قدامى اللغويين العرب فيذهب البعض إلى أن يعرب كان أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي فسميت اللغة باسمه، وورد في

الحديث الشريف أن نبي الله إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام أول من فُتق لسانه بالعربية المبينة ، وهو ابن أربع عشرة سنة بينما نَسِي لسان أبيه، أما البعض الآخر فيذهب إلى القول أن العربية كانت لغة آدم في الجنة ، إلا أنه لا وجود لبراهين علمية أو أحاديث نبوية ثابتة ترجح أي من تلك الادعاءات .

ولو اعتمدنا المنهج العلمي وعلى ما توصلت إليه علوم اللسانيات والآثار والتاريخ فإن جل ما نعرفه أن اللغة العربية بجميع لهجاتها انبثقت من مجموعة من اللهجات التي تسمى بلهجات شمال الجزيرة العربية القديمة. أما لغات جنوب الجزيرة العربية أو مايسمى الآن باليمن أجزاء من عمان فتختلف عن اللغة العربية الشمالية التي انبثقت منها اللغة العربية، ولا تشترك معها إلا في كونها من اللغات السامية، وقد كان علماء المسلمين المتقدمين يدركون ذلك حتى قال أبو عمرو بن العلاء (٧٧٠م) : "ما لسان حمير بلساننا ولا عربيتهم بعربيتنا" .

تطورت اللغة العربية الحديثة عبر مئات السنين، وبعد مرور أكثر من ألفي سنة على ولادتها أصبحت - قبيل الإسلام - تسمى لغة مضر، وكانت تستخدم في شمال الجزيرة، وقد قضت على اللغة العربية الشمالية القديمة وحلت محلها، بينما كانت تسمى اللغة العربية الجنوبية القديمة لغة (حمير) نسبة إلى أعظم ممالك اليمن حينذاك، وما كاد النصف الأول للألفية الأولى للميلاد ينقضي حتى كانت هناك لغة لقريش، ولغة لهذيل ولغة لربيعة، ولغة لقضاعة، وهذه تسمى لغات وإن كانت ما تزال في ذلك الطور لهجات فحسب، إذ كان كل قوم منهم يفهمون غيرهم بسهولة، كما كانوا يفهمون لغة حمير أيضًا وإن بشكل أقل، وكان نزول القرآن في تلك الفترة هو الحدث العظيم الذي خلد إحدى لغات العرب حينذاك، وهي اللغة التي نزل بها - والتي كانت أرقى لغات العرب - وهي لغة قريش، فكل أشعار العرب في العهد الجاهلي كتبت بلغة قريش وسميت لغة قريش منذ ذلك اللغة العربية الفصحى بقول القرآن ((وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا)) وقوله "وهذا لسان عربي مبين" .

أقول مع ذلك ما تزال العربية لغةً حيّة نابضةً تقي للمتكلّمين بها بكلّ ما يُمكن أن تقي به لغةً من لغات العالم لأيّ تجمّع بشري يتكلّم لغةً ما، ممّا عدّه علماء اللغة وظائف تُؤدّيها كلُّ لغةٍ في حياة من يتكلّمون بها .

وإذا كنّا نري من غير المتكلّمين بالعربية موقفاً يُغاير ما نجدُه من موقف المتكلّمين بالعربية؛ من اعتزازهم بلُغتهم، واهتمامهم بها، والبذل من أجلها، والكد في تحصيلها، والتّعب في تطويرها والحفاظ عليها، فإنّا نجدُ أنّ السّمة العامّة لكثيرٍ من المتحدّثين بالعربية أنهم يَبْنُون منها، مُدّعين صُعوبتها، وعدم صلاحيتها في نظر قومٍ منهم لمُجاراته العصر، وما إلى ذلك ممّا يدّعيه بعضهم في حقّ تلك اللغة .

## مفهوم اللغة عند القدماء

تعامل العربُ كغيرهم من الأمم الأخرى مع اللغة، ممارسةً ودراسةً، فأتقنوها من حيث النطق والكتابةُ بها، ومن حيث دراستها واستكناه أسرارها ومعانيها ودلالاتها العميقة، فكانت تعاريفهم وتحديدهم لها تعبّر عن أصالة في التّفكير اللّغوي عند العرب مكّنهم من بناء صرح شامخ للغة سمّي بعلوم اللغة العربية، ومن تحقيق سبق تاريخي وحضاري في مجال البحث اللغوي. ولا

يهتمنا هنا الدّخول في جدال تأثر تفكير اللّغويين العرب بالثقافات السّابقة، خاصة ثقافة الإغريق والهنود، بقدر ما ننوي التّركيز على إسهامهم المثير في تقديم فكرهم اللّغوي الذي يختزن بطبيعة الحال نظرتهم للغة بشكل عام. فعلماء من قبيل الخليل، و سيبويه، و أحمد بن فارس، و ابن جني، و عبد القاهر الجرجاني... وغيرهم كثير قدّموا دراسات فريدة من نوعها في تعاملهم مع اللّغة على نحو جعل دراساتهم تتوارث عبر الأجيال لمئات السّنين، قبل بزوغ الدّرس اللّغوي الحديث الذي تغلغل من أوروبا وأمريكا إلى الدول العربيّة في أواخر القرن التّاسع عشر وأوائل القرن العشرين.

فحين يعرف أبو الفتح بن جني اللّغة بقوله: أما حدّها فإنها أصواتٌ يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فهذا يبلغ قمة البحث اللّغوي حين يربط اللّغة بالوظيفة، كونها تتحدد من خلال بعدها الوظيفي بين الأفراد والمتكلّمين على السّواء، من خلال تبادل الأغراض والحاجات بواسطة اللّغة. واللّغة كما قلنا ممارسة و دراسة، فالممارسة وظيفة المتكلّم، بها يتفاعل مع مجتمعه، شريطة مراعاة قواعدها التي يفرضها المجتمع على كل حال، ومن خالف هذه القواعد صار لاحنا، أو على حد تعبير أحد الباحثين مهزلقاً خارجاً على كنيسته سيبويه. أما الدّراسة فهي وظيفة الباحث الذي يحاول ملاحظة اللّغة كظاهرة اجتماعية، باعتبارها المرآة التي تعكس سلوك المجتمع وثقافته، ومن ثم تكون وظيفة الباحث رصد التّلفّظات اللّغويّة الصّادرة عن أفراد المجتمع لوصف الظّاهرة اللّغوية باعتبارها شيئاً في ذاته، لا بكونها مجموعة قواعد يجب أن تطبّق و تراعى حين التّكلم.

من هنا يمكن لنا أن نقول: إن أسلاف لغوي العرب تعاملوا مع اللّغة لا كمعطى يستحق الدّراسة في ذاتها، و لكن باعتبارها قواعد يجب أن يلتزم بها المتكلم، صحيح أنّ العرب الأقحاح فطروا على التّكلم باللّغة العربيّة، فبرعوا في رصفها، نظماً ونثراً، خصوصاً قبل و بعد بعثة النبي صلّى الله عليه وسلم، لكن مع حدوث اختلاط العرب بالملل الأخرى التي دخل إليها الإسلام، تفشّى ما سمي باللّحن، نتيجة اختلاط اللّسان العربيّ باللّسان الأعجمي، مما دعا كما هو معلوم إلى تحصين اللّغة من خلال فرض قواعد ضابطة يجب أن يلتزم بها المتكلم حين التّكلم باللّغة، خصوصاً أن في خدمة اللّغة خدمة للقرآن الكريم، ليكون العامل في تعاملهم مع اللّغة عاملاً دينياً محضاً.

وصحيح أيضا أن هؤلاء العلماء أسهموا أيما إسهام في مجهودهم هذا لتحسين اللغة وللحفاظ عليها وعلى جوهرها، فكان عملهم نفيسا مستحسنا، لما بذلوه في عملهم، لكن اللغة على كل حال تحتاج إلى دراسات تدرسها داخل المجتمع لفهمه، وفهم ثقافته، وعاداته وتقاليده، مثلا لا يمكن لنا أن نفهم شيئا من نظم الجاهليين دون دراسة لغتهم دراسةً مستفيضةً تفهم اللغة التي تكلموا بها من حيث دلالات مفرداتها في ذاتها، وتقلدها أو ثباتها. فمفردات من قبيل الأزلام، أو بحيرة، أو سائبة، أو النُصب... وهلم جرا لتعبر عن عادات الإنسان الذي عاش في الجاهلية، و من ثم كان لزاماً فهم هذه المفردات لفهم عادات وتقاليدها هذا المجتمع، وكل هذا بطبيعة الحال يتم بواسطة اللغة؛ فهي المفتاح الذي يفك شفرة هذه المفردات.

بيد أن البحث اللغوي المتقدم في العصور الهجرية الأولى وحتى العصر الرابع الهجري، عصر ترسيخ ثقافة عربية إسلامية ما زالت آثارها ممتدة حتى عصرنا الحالي جاء لتلقي كيف تمارس اللغة، لا كيف ندرس اللغة باستمرار مطرد؛ أي تم منع ثقافة الابتداع، وترسيخ ثقافة الإتياع، مما جعل المتكلم بطبيعة الحال يلتزم كما قلنا بممارسة اللغة المعيارية باعتبارها جزءا من العادات، والتقاليد، والدين، والملابس، وطريقة المعيشة في المجتمع الذي يعيش فيه، أي إن اللغة هنا جزء من الأعراف الاجتماعية التي يلتزم أفراد المجتمع باتباعها، لذلك كانت اللغة عند أسلاف لغويي العرب عند ممارستها مدعاة لمراعاة الصحة في استعمالها. يقول في هذا السياق المرحوم الدكتور العلامة تمام حسان «فقد جرت عادة الباحثين اللغويين في الماضي على أن ينظروا إلى اللغة من زاوية المتكلم لا من زاوية الباحث، أي أن يفكروا في دراستها تفكيراً معيارياً... لا أن يفكروا فيها تفكيراً وصفياً... فكروا في اللغة تفكير ما يخضع الصواب والخطأ في استعمالها لا لمقياس اجتماعي، بل لمجموعة من القواعد يفرضها عليها فرضاً، ويجعل كل ما لا تنطق عليه هذه القواعد إما شاذاً أو خطأً ينبغي ألا يدخل في دائرة الاستعمال العام، ولو كان أشيع على الألسنة. هذه المعيارية في فهم الأسلاف للغة جعلت المتكلمين يقعون في مطبات كثيرة، من أهمها ذلك العسر في ضبط قواعد اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة، وسبب هذا بطبيعة الحال أن التفكير اللغوي القديم جمّد

النشاط الفكري في اللغة منذ انقضاء عصر الاستشهاد لإقامة القواعد و الأدلة بتلك الآيات القرآنية الكريمة، والمنظومات الشعرية والنثرية التي تلخص بطبيعة الحال المادة اللغوية العربية الفصيحة لتأسيس القواعد والمعايير التي ينبغي أن تهتدي اللغةُ بها، لكن مع نهاية هذا العصر لم يطوّر اللغويون الأسلافُ دراسةَ اللغةِ فاضطروا أن يدوروا حول ما تركه السلف من قواعد، فكان معظم كلامهم اجتراراً لتلك القواعد و تكرارها، فلم يتكلموا عن مادة اللغة البتة، ولا عن آليات استقراء جديدة تطوّر فهم اللغة وتغني استعمالها من لدن المتكلمين. ويرى الدكتور تمام حسان أن حجّتهم في ذلك أنّ السلف أتموا البحث اللغوي، و أوقفوا العمل به برفض الجديد من الشواهد .

إن اللغة بهذا الفهم هي مجرد وسيلة حياة في المجتمع، وانتهى أيّ اجتهاد قد يطول تلك المفاهيم التي تمّ ترسيخها منذ نهاية عصر الاستشهاد، فكانت قُصارى الجهود اللغوية لخدمة اللغة تكون إمّا في سبيل الشرح، وإمّا في سبيل التعليق، وإمّا في سبيل التحقيق والتصويب.

إذن، وبشكل عام يمكن لنا أن نقول: إنّ القدماء نظروا إلى اللغة في شكلها التعليمي لا العلمي، بمعنى أن علومها أخذت طابعاً تعليمياً لا علمياً، فاحتاجت الدراسة اللغوية بالباح إلى بزوغ دراسة جديدة تطوّر البحث اللغوي، و تجيبُ عن أسئلة تعليم اللغة، خصوصاً أنها لغة معيارية قوامها قواعد يجب أن تلتزم في الاستعمال. هذا ما سنراه في المبحث الموالي .

## مفهوم العلماء المحدثين للغة

والتواصل، وتبادل الأفكار، والأحاسيس؛ شكّلت اللغة للإنسان تلك الوسيلة التي يتم بها التخاطبُ فما من إنسان يمتلك اللغة إلا و تكون له . فكانت الأداة التي لا يستغنى الإنسان عنها البتة مخالفاً في ذلك، وأغراضه، على نحو يجعله يحقق غاياته، القدرة على التعامل مع العالم الخارجي والتشكّل الفطري إلا أنّها لا تستطيع، بقية الخلائق غير الناطقة التي مهما بلغت من النمو البيولوجي إذن فللغة منزلةٌ. التعبير عن أغراضها بالشكل الذي يستطيع الإنسان الناطق التعبير عن أغراضه

وممارسة .ساميةً بؤاتها أن تكون ضرورةً ملحةً في التّواصل؛ أي توصيلُ هذه الأغراض والغايات والدّارسين إلى الانكباب على ,والعلماء ,دعت الملاحظين ,مشافهةً وكتابةً ,اللغة في الحياة اليوميّة سنحاول في هذه المقالة وضع .دراستها وفحص نواتها ومكوناتها ووضع تعريف جامع مانع لها مفهوم اللغة بين ميزان القدماء والمحدثين؛ أي إننا سنتناول نظرة العلماء من أسلاف لغويي العرب وأهم آراء المحدثين الذين درسوها بشكل ,و نظرته لها ,وأيضاً كيف تناولها العلم الحديث ,للغة خالف في كثير من المواضع آراء القدماء وأقوالهم .

ولو أنّنا نظرنا في تعريف العلماء المحدثين للغة لوجدنا أنّهم يركّزون على أنها بنية صوتيّة، تنتوّع بحسب المجتمعات والأقوام، ولها وظائف تُؤدّيها في حياة المتكلّمين بها، وتعريف اللغة عند ابن جني من ألف عام .

ويمكن لنا أن نقول في هذا الإطار :إن محاولات التّجديد التي طالت اللغة العربية انطلقت منذ عصر النهضة ,فقد وضع الفكر اللّغوي العربي إبان مرحلة النّهضة أسس تفكير لغويّ ينطلق من واقع اللّغة العربية للإجابة عن تساؤلات لغوية عملية تتعلق بكيفية تطويع اللّغة العربية ,وجعلها مسابرة للتطوّر الحضاريّ ,و يتحدد ذلك تاريخياً بالنقطة الحضارية التي عرفتها .

هذا التطوّر الملفتُ جذب إليه اللّغة بحيث إنّ مواكبها لهذا التطور صارت ضرورةً ملحة ,فنشأت على إثر ذلك حركة لغويّة جديدة اهتمت بالترجمة وإيجاد المصطلح العربي الملائم فكانت اللّغة العربية في هذا العهد نشيطةً باعتبارها تصدّت لترجمة النّفول الغربيّة التي تُعرّف بحضارة الغرب وثقافته لنقلها إلى الثّقافة العربية التي عانت قبل هذه النّقطة الحضارية مما سمي بعصر الانحطاط .

ومن بين أهم ما حقق للثقافة العربية التجديد تلك البعثاتُ الدّراسية التي أرسلت في هذا العصر إلى أوروبا قصد الدراسة والتحصيل ,وسنأخذ رفاة الطهطاوي أنموذجاً في ذلك ,فقد كان من بين

التّهضوبين الأوائل الذين اهتموا باللغة العربية ، و من الذين دعوا إلى تجديدها لإزالة ما أصابها من جمود في المفردات وتعقيد في الأساليب والتراكيب . وعموما فقد عالج الطهطاوي ثلاث قضايا في اللغة يمكن لنا حصرها في التالي : التعريب والمصطلح ، تبسيط النحو ، فهم طبيعة اللغة . كما ظهرت ايضا أبحاث تتناول المقارنة بين اللغات الطبيعية أو ما عرف بالفيلولوجية المقارنة بهدف فهم التطور الذي تعرفه اللغات ، سواء اللغات الحية أو اللغات التي انقرضت و لم يعد لها أثر ، و هذا بطبيعة الحال ظهر مع المستشرقين الذين اهتموا بدراسة اللغة على نحو لم يُعرف البتة عند القدماء ، لكن العنوان الأبرز في مجال البحث اللغوي ككل هو الذي عُرف مع علم اللغة الحديث أو اللسانيات التي ظهرت مع العالم اللساني فيردناند سوسير فقد .

غيّرت اللسانيات الحديثة النظرة إلى اللغة ، بحيث تعاملت معها بمنهج حقّه الوصف أولاً وأخيراً ، فأسدت إلى البحث اللغوي الحديث بنظريات جديدة و حديثة أفادت في العديد من مجالات اللغة ، خاصة تعليمها وتعلمها . ويعد فرديناند سوسير رائدَ هذا العلم الحديث ومؤسسَه وباعثَه إلى البحث اللغوي ككل ، بحيث استقر رأيه أنّ موضوع علم اللغة هو دراسة اللغة في ذاتها ولأجل ذاتها . فاللغة عنده هي : ظاهرة معقدة وغير متجانسة إلى حد بعيد ، بحيث لا يستطيع الباحث أن يدرسها من أبحاثها المختلفة . وقد كان سوسير حريصاً أشد الحرص أن يجعل علم اللغة علماً مستقلاً عن العلوم الأخرى ، علماً له موضوعه الخاص ومنهجه المناسب له . وتعريفه للغة يفترض سلفاً استبعاد أي شيء يخرج عن حدود بنيتها أو نظامها ، أما مجالها فيكون في وصف وتعقب تاريخ كل اللغات المعروفة ، وتحديد القوى المؤثرة دوماً وعموماً على كل اللغات واستنباط القوانين التي تخضع لها كل الظواهر التاريخية المحددة ، ثم إن علم اللغة عنده ينتمي إلى علم جديد سيعرف بعد سوسير امتداداً كبيراً في الأبحاث اللغوية المعاصرة ، هو علم العلامات ، يقول سوسير في هذا الصدد «إن القضية \_ أي علم اللغة \_ ليست أن نقرر ما إذا كان علم اللغة أقرب إلى علم النفس أو إلى علم الاجتماع ، و لا أن نفسح له مكاناً بين الفروع المعرفية القائمة ، ولكن القضية يجب أن تطرح على مستوى مغاير تماماً ، ومن خلال مصطلحات جديدة كل الجدة تولي مفاهيمها الخاصة . إن علم اللغة

ينتمي في الحقيقة إلى علم لم ينشأ بعد ,علم يتناول الأنظمة الأخرى المشابهة داخل مجموعة الظواهر الإنسانية ,وهذا العلم هو السيمولوجيا .«و قد قسّم سوسير الظاهرة اللغوية إلى ثلاثة أقسام ,هي :اللغة ,والكلام ,واللسان .فأما اللغة فهي نظام من علامات وصيغ وقواعد ينتقل من جيل إلى جيل وليس له تحقق فعلي ,لأن الناس لا يتكلمون القواعد ,وإنما يتكلمون وفقاً لها ,وأقرب شيء إليها أنها تشبه السمفونية ,على حين يشبه الكلام العزف على الآلات .أما الكلام فهو كل ما يلفظه أفراد المجتمع المعين ,أي ما يختارونه من مفردات أو تراكيب ناتجة عما تقوم به أعضاء النطق من حركات مطلوبة .في حين يكون اللسان ظاهرة عامة تتمثل في العنصرين السابقين "اللغة و الكلام "مجتمعين ,و لهذا لا يعده سوسير ظاهرة اجتماعية خالصة إذ هو يشمل الجانبين معا الفردي "الكلام "و الاجتماعي "اللغة ."و قد قرر سوسير غير مرة أن اللغة لا الكلام واللسان هي موضوع البحث لعلم اللغة ,فيفصل اللغة عن الكلام لفصل في الوقت نفسه ما هو اجتماعي عما هو فردي ,وما هو ضروري عما هو ثانوي .فاللغة ليست موجودة بشكل تام عند المتكلم ,إنما موجودة فحسب بكاملها في الجماعة ,أي إن كلّ فرد من أفراد الجماعة اللغوية يحاول أن يأتي كلاماً وفقاً لها ,ولكنّه لا يمكن أن يحققها تحقيقاً كاملاً ,ومن ثم يتفاوت هؤلاء الأفراد في مراعاة قواعدها ,ولعلّ هذا ما جعل اللغة لا الكلام هي موضوع علم اللغة ,لأن الكلام يتحقق في صور مختلفة لا حصر لها وليس ثمة علم يمكن أن يدرس هذه الصور في الواقع .وتعد العلامة اللغوية أحد أهم أفكار سوسير ,كونها المبدأ المركزي الذي دارت حوله أفكاره ,يقول سوسير عنها « :لا أحد يجادل في مبدأ اعتبارية عرفية العلامة ,و لكن اكتشاف الحقيقة أقرب منا لا غالباً من وضعها في موضعها الصحيح ,هذا المبدأ السابق يسيطر على مناحي التحليل اللغوي ,و نتائجه لا حصر لها ,بيد أنه من الحق أن يقال إن الأمر ليس واضحاً على سواء كل المناحي ,و بعد إمعان النظر سوف تتضح كل المعالم ,و بهذا نتبين أهمية المبدأ » .

عموماً يمكن لنا أن نقول :إن اللسانيات الحديثة تميزت عن الأبحاث اللغوية القديمة كونها نظرت إلى اللغة نظرة وصفية تقوم على أساس الملاحظة المباشرة للظواهر اللغوية المدروسة في فترة زمنية

محددة وفي مكان محدد، أي القيام بدراسة سانكرونية للغة في حالة ثبات، بخلاف الدراسة  
الدياكرونية للغة في حالة تطور والتي كانت ديدن المنهج التاريخي المقارن الذي أشرنا إليه آنفا .  
ويمكن اعتبار أن علم اللغة الحديث مدين للعالم اللساني فرديناند سوسير كونه نقل ميدان البحث  
اللغوي إلي ساحة أرحبَ توجد فيها مفاهيم جديدة فتحت الباب على نظريات لسانية أخرى ستتلو  
نظرية سوسير البنوية، خاصة في مجال تعليم اللغة وتعلمها.

يتبين لنا من خلال ما سبق أن دراسة اللغة أمر ليس بالهين، كونها كانت الشغل الشاغل الذي  
جذب إليه اتجاهات مختلفة المشارب، كما أن أي علم من العلوم الإنسانية لا يجد نفسه في غنى  
عنها، كونها تعد وسيلة تعينه على فهم الظواهر التي يدرسها أي علم من هذه العلوم، و لا جدال  
في كون اللسانيات الحديثة أعانت البحث العلمي على توظيف اللغة بطريقة أمثل بحيث صارت  
مطاوعة للعلم الحديث، و تجيب عن كثير من الاسئلة التي تشغل الذهن البشري، خلافا للأبحاث  
القديمة، و على قيمتها العلمية، بيد أنها كانت سوى تكرار لنماذج سابقة تظهر في كل حين من  
الأحايين بصورة لا تكسر الجوهر التي ظهرت فيه منذ عصر تأسيس قواعد اللغة العربية و تقنينها  
في العصور الهجرية الأولى .

" اللغة أصوات يُعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم ، والعربية في هذه الجوانب شأنها شأن كل لغات  
البشر، غير أن كل تجمع بشري على وجه الأرض يهتم بلغته ويوليها من العناية والرعاية ما يجعلها  
من أولى اهتماماته وأهدافه في حياته؛ ذلك أنها تُؤدّي لهم في حياتهم دوراً لا يمكن الاستغناء عنه؛  
فهي تُؤدّي لهم وظائف لا يمكن للمجتمع أن يستغني عنها، إضافةً إلى كون اللغة وسيلةً من وسائل  
تحقيق الذات الإنسانية، ودعامةً من دعامات الوحدة بين المتكلمين بها ."

## وظائف اللغة

فما تلكُ الوظائف التي تُؤدِّيها اللغة في حياة هؤلاء، تلكُ الوظائف التي جعلتُهم يعترُّون بلغتهم وبيدلون من أجلها ويستسهلون الصَّعب في سبيل الحِفاظ عليها؟ وهل العربيَّة قادرةٌ على الوفاء بها، أم أنها عاجزة عن ذلك؟

تنقسم وظائف اللغة بشكل عام إلى قسمين أساسيين:

القسم الأول هو الموضوعي، أي ما يتعلق باللغة ذاتها، كونها منظومة منسجمة من العلاقات الداخلية، التي لها وظائف عديدة تتم تأديتها، ويُعتمدُ دور وأهمية كل من هذه الوظائف على القدرات الموضوعية للغة المعنية، أي على مستوى تطورها ونضجها، ولكل وظيفة من هذه الوظائف الداخلية حدودها وشروطها، التي تأمن بدورها العلاقات المتينة التي تربط هذه الوظائف ببعضها البعض لتجعل منها وحدة متكاملة، ومن أهم هذه الوظائف هي:

الوظيفة الصوتية، الوظيفة الصرفية، الوظيفة المعجمية، الوظيفة الدلالية، الوظيفة البلاغية أو الأسلوبية. وهي بمجملها تتعلق بتطبيق أمور النطق والإسلوب والبلاغة وقواعد النحو والصرف والكتابة والقراءة

وما إلى ذلك من أمور متداخلة لهذه أو تلك من اللغات، أي بحديث اللغة عن نفسها أو الوصف اللغوي للغة ذاتها ولعلاقاتها الداخلية.

أما القسم الثاني، والمقصود هنا الجانب الذاتي، وهو ما يتعلق باللغة كونها منظومة متكاملة للتفاهم والتداول والتواصل بين البشر، ويشمل هذا الجانب الوظائف الاجتماعية للغة، بإعتبارها أكبر وسيلة للتفاهم بين البشر على مرّ العصور، فهي ضيفا لا يمكن الإستغناء عنه في كافة مجالات الحياة الاجتماعية سواءً للفرد أم للمجتمع، وهي بهذا تقوم بتأدية سلسلة متداخلة ومتكاملة من الوظائف الاجتماعية الهامة وتشبع بذلك حاجيات الفرد والمجتمع على السواء.

إهتم علماء اللغات والإجتماع والفلسفة ومنذ وقت مبكر بدراسة الوظائف الاجتماعية التي تؤديها اللغة وتقديم النماذج المختلفة لكيفية تأدية هذه الوظائف، ولا زالت الأبحاث مستمرة في هذا المجال ومراقبة للتطورات العملاقة التي تجري في مختلف ميادين المعرفة ومنها في باب اللغات، وبالإعتماد على هذه الدراسات تم التوصل إلى وضع نموذج عام يتضمن مجموعة من الأسس التي يتوجب توفرها في أي نوع من أنواع الكلام المتعارف عليها والمستخدم في اللغة مثل توجيه نداء أو الحديث

الإعتيادي بين شخصين أو تقديم محاضرة أو إلقاء شعر أو القيام بإجراء مكالمة تلفونية وما شابه ذلك من أمور الكلام المختلفة، وهذه الأسس هي:

١. الشخص المُرسِل، أي المتكلم، الذي يريد إيصال رسالة إلى الآخرين.
٢. الشخص المُرسَل إليه، أي المخاطب وربما الغائب، الذي يُراد إيصال الرسالة إليه.
٣. الموضوع الذي يجري الحديث حوله.
٤. القناة المعتمدة في إيصال الرسالة، كأن تكون مباشرة أو عن طريق الهاتف أو التلفاز أو... الخ.
٥. اللغة المستخدمة، هل هي لغة طبيعية كالعربية والإنكليزية والألمانية أم لغة الإشارات وغيرها
٦. طريقة إيصال الخبر، أي الطريقة التي تُطرح بها اللغة، عن طريق إستخدام أساليب لغوية مختلفة كالأمر والنهي والرجاء والنصح ... الخ.
٧. نص الكلام المطروح، أي المادة اللغوية نفسها، كأن يكون نثر أو شعر أو غيرها من النصوص اللغوية المتعارف عليها.

تختلف نوعية الوظيفة التي تقوم اللغة بإنجازها اعتماداً على أهمية ومكانة ودور هذا الجزء أو ذلك من الأجزاء المشار إليها أعلاه في مجمل النص اللغوي المستخدم أو في بعض من أجزائه، وتنقسم الوحدات اللغوية المختلفة التي يصر إلى إستخدامها في أي نوع من أنواع الكلام، إرتباطاً بالنص المعنوي، أو بالحدث المقصود، أو حتى في المكان أو الزمن المحدد، إمّا إلى إشارات من نوع

الإيماءات أو التلويحات أو التنبيهات عن أو إلى أمور معينة، أو هي بمثابة رموز تعكس معاني محددة أو تكون عبارة عن إشارات تعبر عن ظواهر أو أعراض معينة.

نشير هنا إلى بعض مشاهير علماء اللغة الذين تناولوا في أبحاثهم ودراساتهم المختلفة هذه الوظائف، والتي جرى الأخذ بها وتطويرها من قبل البعض الآخر على مرّ السنين.

إجمالاً يمكن القول بأن وظائف اللغة تتوزع في مجالات وأبواب مختلفة، فهي تساهم بشكل نشيط في عمليات التفاهم والإبلاغ والتواصل بين البشر، ولها دور أساسي في صناعة الحضارة الإنسانية وإطلاق عجلات التقدم والارتقاء بها إلى حالات أفضل، ولا يمكن لبني البشر أن يتفاعلوا ويمارسوا حياتهم الإعتيادية إلا باستخدام اللغة، فحاجة البشر إلى اللغة كحاجتهم إلى ضروريات الحياة الأخرى.

واللغة، كالكائن الحيّ، فهي تنمو وتترعرع، تشب وتشيخ وتموت إذا لم تتوفر لها عوامل الديمومة والاستمرار، وهي تستمد كل هذا من مجالات الحياة المختلفة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والعلمية، وإنّ تطورها وإضمحلالها مرتبط بتطور وتدهور المجتمع حضارياً وإنتاجياً.

## اللغة وسيلة اتصال

أنّ اللغة وسيلة الإبلاغ والاتصال والتفاهم بين أفراد المجتمع الذي يتكلّم بها، فيها: أوّل تلك الوظائف يستطيع الإنسان أن يفهم الآخرين وأن يفهم عن الآخرين، إنها وسيلته الأولى والأساسية في الاتصال بأفراد مجتمعه، وهي الوظيفة الأولى من وظائف اللغة، وكلّ لغة يتحدّث بها قوم فإنها تلعب هذا الدور في حياتهم بصفة عامّة، والعربية الفصحى من هذه الناحية قادرة على أن تكون لغة الإبلاغ والإفهام والفهم، وقد استطاعت أن تلعب هذا الدور بصفة أساسية على مدى تاريخها الطويل المشار

عند صدق النية - قادرة على الوفاء بهذه الوظيفة، بل إنك لتعجب من لغة - إليه، بل إنها ما تزال يفهم العامي والمتعلم وأنصاف المتعلمين أهم نصوصها وهو القرآن الكريم، فعندما يستمع إليه العامي فإنه لا يحرم الفهم، وكل يأخذ منها على قدر استعداد؛ بدليل استجابته البادية عليه عند استماعه، وما فهم المصلين لخطبة الجمعة التي تؤدى

بالفصحى من هذا بغريب، وصدق الله؛ فقد قال : ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴾

ولا يحفظ الذكر إلا بحفظ لغته لتي بها نزل ومن حفظ هذه اللغة أنها ميسرة في ذاتها، وميسرة لنقل المعاني التي يراد للعربية أن تكون وعاء نقلها ووسيلة إفهامها فقال تعالى في كتابه العزيز : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ .

فعلى مر التاريخ، أثار اصل اللغة وتنوعها وتطورها اعجاب العلماء. وفي الواقع، لولا اللغة نفسها لأضاعت تعابير اعجابهم، لكن اللغة حفظتها كما حفظت معظم السجلات التاريخية. وهكذا تكون اللغة بالفعل وسيلة الاتصال الاساسية عند البشر .

يقدر بعض اللغويين انه يُنطق حالياً حول العالم بنحو ٦,٠٠٠ لغة او اكثر، وهذا الرقم لا يشمل اللهجات المحلية. وأكثر لغة يُنطق بها حتى الآن هي الصينية المندرينية، اذ انها لغة اكثر من ٨٠٠ مليون شخص. واللغات الاربع التالية التي ينطق بها اكبر عدد من الاشخاص، انما ليست بالضرورة بهذا الترتيب، هي: الانكليزية والاسبانية والهندية والبنغالية .

ماذا يحصل حين تحتك حضارة فجأة بحضارة اخرى، وبالتالي تحتك لغة الواحدة بلغة الاخرى؟ ومن ناحية اخرى، كيف يؤثر انعزال مجموعات من الناس في لغتهم؟ لنر الآن كيف يحصل التقارب والتباعد ايضا - بسبب اللغة . .

كما أن اللغة وكما تشير بعض المصادر، هي نسق من الإشارات والرموز، يشكل أداة من أدوات المعرفة، وتعتبر اللغة أهم وسائل التفاهم والاحتكاك بين أفراد المجتمع في جميع ميادين الحياة. وترتبط اللغة بالتفكير ارتباطاً وثيقاً؛ فأفكار الإنسان تصاغ . وبدون اللغة يتعذر نشاط الناس المعرفي دوماً في قالب لغوي، حتى في حال تفكيره الباطني. ومن خلال اللغة فقط تحصل الفكرة على وجودها الواقعي. كما ترمز اللغة إلى الأشياء المنعكسة فيها. وقد عرف القدماء اللّغة بأنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم ولم تستطع التعريفات الحديثة للغة أن تتجاوز هذا التعريف الموضوعي .

وعرّف علماء النفس اللّغة، فرأوا أنها مجموعة إشارات تصلح للتعبير عن حالات الشعور، أي عن حالات الإنسان الفكرية و العاطفية و الإرادية، أو أنها الوسيلة التي يمكن بواسطتها تحليل أية صورة أو فكرة ذهنية إلى أجزائها أو خصائصها، والتي يمكن تركيب هذه الصورة مرّة أخرى بأذهاننا و أذهان غيرنا، وذلك بتأليف كلماتٍ و وضعها في ترتيبٍ خاصٍ، وتنقسم لغات العالم إلى عائلات لغوية، كاللغات الأفريقية الآسيوية واللغات الهندية الأوروبية، حيث تحوي كل منها عدداً من اللغات ذوات الأصول والخصائص المتشابهة .

وتؤكد بعض المصادر المتخصصة على عدم وجود إحصائية رسمية متفق عليها عالمياً بعدد المتحدثين بلغة ما، وهناك عدد مختلف من المصادر وبأرقام فد تكون متباينة. وتقول بعض المراجع إن عدد اللغات هو ما بين أربعة آلاف وخمسة آلاف. ولكن تشير بعض التقديرات إلى أن العدد الحقيقي يتراوح ما بين ثلاثة آلاف وعشرة آلاف لغة. ولا تزال اللغة محط اهتمام الكثير من الباحثين خصوصاً وان البعض يرى ان هناك شعوب وقبائل تعيش في مناطق مختلفة من العالم تتحدث لغات خاصة لا تزال بعيدة عن الاهتمام او أنها غير مكتشفة وهو ما قد يزيد عدد اللغات الحالية، يضاف الى ذلك اللغات الأخرى التي بدأت بالاندثار والتلاشي بسبب عدم الاهتمام بها .

في السياق ذاته أظهرت دراسة جديدة، أن اللغة العربية صُنفت على أنها أكثر أهمية من نظيرتها ووجدت الدراسة، التي أصدرها المجلس .الفرنسية للتعلم من قبل الطلاب في المدارس البريطانية الثقافي البريطاني ونشرتها صحيفة اندبندنت، أن اللغة الصينية الشمالية المعروفة باسم الماندرين، تقدمت على اللغة الألمانية بالنسبة لطلاب المدارس البريطانية، فيما ظلت الإسبانية اللغة الأكثر طلباً للتعلم من قبلهم .

وقالت الدراسة إن هناك نقصاً مثيراً للقلق من البريطانيين القادرين على التحدث بأي لغة من ١٠ لغات حددتها، بعد أن تبين أن ٧٥% منهم غير قادرين على التحدث بطلاقة بأي واحدة من هذه اللغات. وأضافت الدراسة أن ١٥% من البريطانيين فقط يتحدثون اللغة الفرنسية بطلاقة، و٦% اللغة الإسبانية، و٢% اللغتين العربية والإيطالية، و١% لغات الماندرين والروسية ١% الألمانية، و٤ واليابانية، وأقل من واحد من كل ١٠٠ بريطاني اللغتين البرتغالية والتركية .

وأشارت إلى أن أهمية تعلم اللغة العربية برزت بعد ظهور ستة بلدان ناطقة بالعربية بين أكبر أسواق التصدير للمملكة المتحدة، وتدر سنوياً على الاقتصاد البريطاني أكثر من ١٢ مليار جنيه استرليني، أي ما يفوق قيمة صادرات المملكة المتحدة إلى اسبانيا أو الصين أو إيطاليا. ولفقت الدراسة إلى أن العربية صارت واحدة من اللغات ذات الأولوية بالنسبة إلى وزارة الخارجية البريطانية، وتخطط لزيادة عدد دبلوماسيها الناطقين باللغة العربية بنسبة ٤٠%. بحسب يوناييتد برس .

وقال مدير قسم الاستراتيجية في المجلس الثقافي البريطاني جون وورن، إن المملكة المتحدة تحتاج إلى تعليم المزيد من مواطنيها اللغات الفرنسية والإسبانية والألمانية إلى جانب اللغات العربية والصينية واليابانية، وما لم تتحرك لمعالجة النقص ستخسر اقتصادياً وثقافياً .

على صعيد متصل لجأت سنغافورة الى ممثل كوميدي شهير لديها ليعطي سكان الجزيرة دروسا في قواعد اللغة وذلك في اطار جهودها المتواصلة منذ فترة طويلة لتشجيع الاستخدام الصحيح للغة

الانجليزية خشية ان يؤثر ضعف المهارات اللغوية على شهرتها كمركز لأنشطة الأعمال. ويجد الأجنب الذين يزورون جزيرة سنغافورة الصغيرة الغنية أنفسهم وقد انغمسوا في محادثة محرجة مع بعض السكان الذين يتحدث الكثيرون منهم لغة انجليزية ركيكة بلهجة صينية أو بلكنة لغة الملايو .

ورغم الحملة المستمرة منذ ١٥ عاما لتحسين مستوى ممارسة اللغة الانجليزية في هذه الدولة فان معظم السكان البالغ عددهم نحو ٥.٤ مليون نسمة واصلوا مقاومتهم لما يرون انها قيود تؤثر على مقومات التكامل في ثقافتهم. وأطلقت حركة تسمى "تحدث لغة انجليزية سليمة" حملة للنهوض بمستوى اللغة واستعانت بأشهر ممثل كوميدي في سنغافورة يقلد النساء يدعى كومار ليقوم بدور "ملكة القواعد" في سلسلة من شرائط الفيديو التي تويخ فيها الملكة رعاياها بسبب طريقة استخدامهم للغة. بحسب رويترز .

وقال ادريان تان وهو محام وعضو لجنة الحركة الجديدة "نحن نتحدث لغة انجليزية أفضل من جيراننا وهذا هو السبب في ان الناس يأتون الى هنا. لكن ثقتنا أصبحت مفرطة بشأن وضعنا." وقال "في يوم من الايام في الصين سيتحدثون لغة انجليزية أفضل منا وعندها سنواجه متاعب" .

الى جانب ذلك وعملا بالمثل القائل "اعرف لغة عدوك"، انضمت الصحافية في التلفزيون الفلسطيني دلال سعيد مع صحافيين اخرين الى دورة لتعلم اللغة العبرية لكي يتسنى لهم الاطلاع على الاخبار بصورة أفضل والحصول عليها من مصادرها. وانضم نحو ثلاثين صحافيا الى الدورة التي تنظم في كلية خاصة في رام الله في الضفة الغربية المحتلة، لتلقي الدروس لمدة ساعتين كل ثلاثاء على مدى ستة اسابيع .

والصحافيون المشاركون في الدورة من مؤسسات اعلامية محلية خاصة، وتابعة للسلطة الفلسطينية، ومن دوائر اعلامية في مؤسسات حكومية، ومنهم من يعمل في وكالات عربية. وبالإضافة الى تدريس اللغة، يشرح استاذ المادة، وهو فلسطيني من القدس مختص باللغة العبرية، معنى الكلمات

في سياقها الاجتماعي والتاريخي. ففي الحصة الرابعة التي ركز فيها على تعليم اللوان، تحدث عن كلمة "شحور" ومعناها اسود وشرح انها قد تستخدم للحديث عن الافارقة، وكيف ان بعض الاسرائيليين قد يستخدمون كلمة "كوشيم" بدلا من ذلك وهي كلمة ذات مضمون عنصري .

ويقول الصحفي علي عبيدات، احد منظمي الدورة "بات الاعلام العبري مصدرا رئيسيا للاحداث التي تتعلق بالصراع الفلسطيني الاسرائيلي، في وقت يغيب المصدر الفلسطيني". ويتابع "كثير من الاخبار التي يتم تناقلها في الاعلام الفلسطيني يتم اسنادها وهي مترجمة الى مصادر اعلام عبرية، دون وجود القدرة لدى كثير من الصحفيين للتأكد من المصدر العبري".

وتنشر الكثير من الاخبار في وسائل الاعلام الفلسطينية، استنادا الى مصادر اعلام اسرائيلية، خاصة المتعلقة بحوادث القتل والاشتباكات بين الجانبين، حيث تعتمد الاخبار بالمطلق على المصادر العبرية. ويقول عبيدات الذي يعمل صحافيا لدى موقع امارات ٢٤ "معرفة العبرية تمكننا من التأكد من مصداقية المعلومة".

ويورد عبيدات مثلا على سوء استقاء المعلومة عن حادث سير نشرته اعلام فلسطينية استنادا الى مصادر عبرية، وقالت فيه ان "سبعة اسرائيليين قتلوا في حادث سير"، لكن تبين لاحقا انهم فلسطينيون كانوا عائدين من الصلاة في المسجد الأقصى. ويقول رئيس مجلس ادارة الكلية العصرية ناصر الشيوخي "تعلم العبرية مهم خلال تغطية المواجهات بين الشبان والجيش الاسرائيلي خصوصا للمصورين الذين يحتكون مباشرة مع الجيش. اذا فهمت لغة عدوك ستعرف كيف تتعامل معه".

ويشرح الشيوخي ان الكلية خصصت ثلاثة مساقات للغة العبرية لطلبة الاعلام البالغ عددهم حوالي ويتحدث كثير من الفلسطينيين ٢٠٠٠ طالب وطالبة من اصل حوالي ٢٥٠٠ طالب يدرسون فيها العبرية، فقد كان نحو ١٥٠ الف فلسطيني يعملون في اسرائيل قبل اندلاع الانتفاضة الثانية في سنة ٢٠٠٠. ولكن الدولة العبرية سحبت منهم بعدها تصاريح العمل. بحسب فرانس بؤس .

وفي القدس الشرقية المحتلة غالبا ما يتحدث الفلسطينيون العبرية ولكنهم يستعينون بالعرب الاسرائيليين الذين يتقنونها وخصوصا في المسائل القانونية وللدفاع عنهم امام المحاكم الاسرائيلية. كما تعلم كثير من الفلسطينيين العبرية في السجون الاسرائيلية للتواصل مع الحراس. وتقول دلال سعيد "انا اصلا اؤيد تدريس العبرية في مدارسنا، لانه ضروري جدا، واعتقد ان تعلم العبرية بالنسبة لنا اهم من تعلم الانجليزية".

## اللغة وسيلة تفكير

وسيلة الإنسان في التفكير؛ فالصلة بين اللغة والتفكير صلة قوية لا يمكن الفصل بينهما ، حتى إنه لا يتصور أن يكون هناك تفكير بغير اللغة .

والعربية لا تقل في ذلك عن أشهر لغات الدنيا، فقد كانت - وما تزال - وسيلة التفكير عند علماء هذه الأمة وعامتها في عصورها الزاهرة، تلك العصور التي خلفت عددا لا حصر له من المؤلفات

في شتى فروع المعرفة الإنسانية التي أنارت وجه الأرض، وكانت الأساس الذي بنى عليه الغرب حضارتهم المعاصرة، وما تزال كذلك لغة التفكير عند علماء هذه الأمة وعامتها في وقتنا الحاضر .

يعتبر هذا الموضوع ذا أهمية كبيرة للدارسين والباحثين في مجال طبيعة التفكير وفي حقل اللسانيات عامة . ويعتبر رائد اللسانيات دي سوسير أن هناك ثنائية لا تتخلف بين اللغة والفكر ويشبهها بورقة العملة النقدية إذا مزق أحد الطرفين مزق الآخر معه ، فلا يمكن التفكير دون لغة كما لا يمكن وجود لغة دون دلالات معنوية ، وما يعينني في هذه الورقة هو العلاقة والتأثير المتبادلين بين اللغة والفكر ، خاصة عندنا معشر العرب الذين نولي اللغة أهمية خاصة وبعدها متميزا، فكم من إنسان أسقط حقه لمجرد مثل من الأمثال غذي به شعوره وكم حصلت من مشاكل وربما حروب من كلمة أو بيت شعر، وقديما قال الشاعر : " أديم مطال الجوع حتى أميته " وذلك ضمن برمجة عصبية تعتمد على اللغة أساسا ومن هنا يتفاعل البعض أو يتشاءمون جراء سماعهم لبعض الكلمات .

عندما أبحث في طريقة تركيب الجملة العربية ( فعل + فاعل + بقية الجملة ) أستطيع أن أستنتج طريقة من طرائق تفكير العربي وهي أن ما يهمله هو الفعل بغض النظر عن الفاعل فقد يكون مجهولا لا ضير ، فأستنتج أن العربي يمتلك قدرة أكثر من غيره على الإيمان بالغيبيات فالفعل عنده مقدم .

التكسير - - وعندما أبحث في باب الجموع أعثر على جموع كثيرة ( المذكر السالم - المؤنث السالم القلة - الكثرة - منتهى الجموع - ) فأضع يدي على أهمية الاجتماع في الفكر العربي وعلى تماسك المجتمع وترابطه وقد كان ذلك حقيقة واقعية فالنظام القبلي هو السائد في عالم العرب ويعتمد هذا النظام على التكافل والتناصر غير المشروط بين أفراد القبيلة مهما تباعدت سكانهم وأستطيع أن أعتبر القبيلة في مصطلحات العالم المعاصر أحد المؤسسات المدنية التي تنتشر أرقى أساليب التكافل الاجتماعي ، وزاد في ذلك التشريعات الدينية التي وثقت هذا التماسك من مثل صلاة

الجماعة والجمعة والعديد والتي حثت أيضا على زيارة المريض وكفالة اليتيم وأقرت نظام القبيلة في بعض الجوانب مثل دفع الدية التي توزع على القبيلة حال القتل الخطأ .

ولما كانت المرأة غير فاعلة في المجتمع العربي لم نجد لها جمعا من حروفها ولا مفردا من كلمة نساء ، في الوقت الذي نجد فيه سبعين اسما للسيف وغيرها ، وكذا لم نجد طريقة لتسمية الإناث من الصقور والغزال إلا ما يعرف بـ "التحاييل اللغوي" حيث نقول أنثى الصقر وأنثى الغزال وهكذا ..... وهنا أريد أن أطرح تساؤلا مشروعا : كم تساهم اللغة - وهي تبني طريقة تفكيرنا - في دفع المسار الحضاري العربي إلى الأمام ؟ وكم تستطيع هذه اللغة أن تقدم ؟

"بغض النظر عن مدى قدرة اللغة العربية على إعطاء أسماء لمسميات من خلال التوالد الكبير الاشتقاق " والنحت والتعريب والخ.....كم تستطيع أن تدفع أبناءها إلى اختراع المسميات قبل اختراع الأسماء ، أم أنها لا دخل لها بذلك ؟

هل يتوقف دور العربي على انتظار من يخترع السيارة لتمثل براعته في القدرة الفائقة على إيجاد تسمية لهذا المبتكر الجديد ؟ أو على كتابة عبارة " عين الحاسد تبلى بالعمى " ؟؟؟؟

وقس على ذلك ،،،

لقد أنتج العرب حضارة وثقافة في عصور كانت أوربا تغرق في الظلمات وتنسب ساعة هارون الرشيد إلى الجن كنوع من عدم القدرة على استيعاب المخترعات ، فلماذا تبادلنا الأدوار مع أوربا ، هل لأننا هجرنا اللغة العربية - التي تساهم في طريقة تفكيرنا - إلا من حصص الدرس العربي وبعض المسلسل التاريخي ، أم ثمة مشاكل داخل اللغة ؟ أم ثمة أسباب أخرى يمكن أن يحفز هذا المقال على استكشافها والخوض فيها ؟؟

## اللغة وسيلة لتسجيل المعارف الإنسانية

أنها من وسائل البشر في تسجيل المعارف الإنسانية، فاللغة من أهم تلك :تألت هذه الوظائف الوسائل في تسجيل هذه المعارف، وهو أمرٌ يلمسه الجميع في شتى مناحي المعارف الإنسانية، يستوي في ذلك ما كان متصلاً بالإنسان ذاته وما كان متصلاً بالكون وعُلمه .

ولقد ضربت العربية في ذلك مثلاً رائعاً في قدرتها على استيعاب العلوم، وأن تكون لغةً علميةً في كلِّ ما يُكتَب بها أو يُسجَل بها، فلقد أثبتت جدارتها ونمكُنْها في ذلك، فبها برعَ علماء هذه الأمة قديماً في تسجيل معارفهم العلمية والإنسانية؛ في الهندسة والحساب والجبر وحساب المتلثات والكيمياء والفيزياء والجغرافيا والطب وصناعة الدواء، كما كانت وسيلتهم لتسجيل التاريخ والأدب وعلوم الإسلام .

وإنها في وقتنا الحاضر ما تزال قادرةً على تسجيل تلك العلوم، بما في ذلك ما يُسمَّى خطأً بالعلوم الطبيعيةً وصوابها: العلوم الكونية أو العلوم الربانية، ولقد خطأ بعضُ أساتذة الجامعة في هذا المضمار خطوات لا يُستهان بها، وهي خطوات شجاعة تستحقُّ منَّا أن نسجَل لها هذا الجهد والسِّبق، بل إنَّ بعض بلادِ هذه الأمة قد أخذ على عاتقه تدريس العلوم العلمية الحديثة؛ كالطب والهندسة، والفيزياء والكيمياء - باللغة العربية، كذلك الذي نلمسُه فيما فعله أساتذة الجامعة في سوريا، فهي تُمثِّل ترجمةً حقيقيةً ورائدة، تُبرهن على قدرة هذه اللغة على أن تكون أداة العلم وتسجيله في العصر الحديث .

لكنَّ ذلك يحتاجُ إلى تضامُر جهودِ علماء العربية وعلماء العلوم الكونية ومجامع اللغة العربية ومعاهد وأقسام دراستها وتعليمها في شتى بلاد هذه الأمة؛ لاستغلال ما تمتعت به هذه اللغة من وسائل تجديد شبابها؛ كالاقتناع والنحت والتعريب، إضافةً إلى استغلال الجذور اللغوية المهملة التي ما تزال في انتظار من يُحوِّل منها أبنيةً يعلق عليها ما يجدُّ من المعاني والمستحدثات .

## اللغة وسيلة لتنمية المهارات اللغوية والأدبية

أنَّ اللغة وسيلةٌ من وسائل تنمية المهارات اللغويَّة والأدبيَّة عند الموهوبين :رابع هذه الوظائف المتحدِّثين بها، فكلُّ لغةٍ من لغات البشر تُمكِّن المتحدِّثين بها من تنمية قُدَّراتهم اللغويَّة ومهاراتهم الأدبيَّة؛ فيكثُر النَّتاجُ بها في هذين الجانبين .

ولقد ضربت العربيّة في هذين الجانبين أروع المثل وأصدقه علي أنها أكثر لغات الأرض قُدرةً واستجابةً؛ فيها كتب العربي شعره ونثره، وعبرَ أصدق تعبيرٍ عن مكنونات تلك النفوس الإنسانيّة .

وإنّ الناظر والمتأمّل فيما خلفته الأجيال المتعاقبة من النّتاج اللغوي والأدبي ليفاجأ بهذا الكمّ الوافر الذي لم يتوفّر لأيّة لغةٍ على وجه الأرض، فيها جاءت مُصنّفات اللغة والأدب بأجناسه المختلفة قديماً وحديثاً .

أنها تُرَوِّد الإنسان بالتعبير الجاهزة المناسبة لكلّ موقفٍ؛ ممّا يُوَدِّى إلى :خامس هذه الوظائف التناسق الاجتماعي بين الأفراد الذين يتكلّمون بها .

ففي مواقف الفرح والسُرور تُرَوِّدك اللغةُ بالتعبير المناسب عن كلّ موقفٍ؛ ففي المعرس مثلاً تقول: العاقبة عندكم، وبارك الله لكما وبارك عليكما وجمع بينكما في خيرٍ، وفي الحجّ مثلاً: حجّ مبرور وذنب مغفور، أو تقبل الله منا ومنكم ، وفي عيد الفطر تقول عيد مبارك ، أو عيد سعيد ، كل عام وأنتم بخير .

وفي موقف البلاء تُرَوِّدك اللغةُ التعبير المناسب لكلّ موقعٍ شَدَّةً أو بلاءً؛ ففي العزاء مثلاً تقول: البقاء لله، إنّ الله ما أعطى ولله ما أخذ، أو أطال الله بقاءكم وغفر لفقيدكم، وفي موقف الفقد والإصابة نحو: عوّضَ الله عليكم، أخلفَ الله عليكم ... إلى آخر ذلك ممّا يمكن للإنسان من توافق اجتماعي بينه وبين أفراد مجتمعه .

تَلَقَّى اللغةِ ، أيّ لغةٍ ، عربيّةً كانت أو غيرَ عربيّةٍ ، يكون على صعيدين :

أن تُتَلَقَّى وتُتَعَلَّم شفهيّاً وعلى مستوى النطق والتكلم ، وأن يُكسِبَ المرءُ مهارةَ التعبير عمّا في ضميره بلسانه ، ويتدرّب على ذلك ؛ فيكون قادراً على أداءِ كل غرضٍ من أغراضه شفهيّاً ، سواءً في البيت

، أو في الشارع ، أو في السوق ، أو في المدرسة ، أو في الجامعة ؛ ويتوسّع في القدرة النطقية ؛ فيقدر على إلقاء الخطاب والمحاضرة شفهيًا وارتجالاً .

ويتأتى هذا المستوى أو قل : يتحقّق هذا المطلب ، بالمواظبة على النطق ، والتحدّث شفهيًا ، إذا يستغلّ كلّ مُناسَبَةٍ ليفصحَ فيها عن رأيه بلسانه ، ولا يشعر بأيّ حَجَلٍ أو تحرّجٍ ، ولا يبالي بضحك الناس - ولا سيّما زملاءه والمعارف - عليه إذا بدرت منه زلّةٌ في التعبير ، أو عثرّةٌ في الأداء ، أو خطأً في صياغة لفظٍ أو تكوين جملةٍ . إن المواظبة على النطق باللغة العربية في كلِّ مكانٍ و مناسبةٍ تُخرّجُ المرءَ ماهرًا في النطق بها وبارعًا في إبداء ما يريد إبداءه شفهيًا خاليًا من أيّ خطأٍ أو زلّةٍ في التعبير والصياغة .

ولا يغيبنَّ - أيها الإخوة ! - عن بالكم أن تعلّم اللغة العربية - كأى لغة أخرى - جدّ يسير على من يحاول تعلّمها نطقًا وتحدّثًا و بالتالي خطابًا وارتجالًا لها ، بشكل شفهيّ . وقد رأيتُ كثيرًا من الذين لم يعرفوا من العربية كلمةً ، بل رأيتُ كثيرًا من الأميين الهنود ، قصدوا مدينةً من مدن المملكة العربية السعودية أو غيرها من الدول العربية ، فتعلّموا العربية نطقًا وتحدّثًا في زمن يسير دونما مشقّةٍ ؛ لأنّ تلقّي أيّ لغةٍ نطقًا سهل جدًّا إذا استمرت المحادثة وتبادل الخطاب بها .

فإذا كانت لديكم رغبةٌ في أن تقدّروا على التكلّم باللغة العربية وأداء كلِّ ما في نفوسكم من أغراضٍ بها شفهيًا فعليكم المحادثة الدائمة بين زملائكم ومعارفكم فتعودون قادرين على النطق بها دونما حاجزٍ نفسيٍّ أو عمليٍّ ، وتعودون غيرمًا أنتم الآن ، وتشعرون بدوركم أنكم أصبحتم غيرمًا كنتم من قبل . ودعوا عنكم الخجلَ والمبالاة بأنّ زملاءكم سيجعلونكم أضحوكةً ويتناولونكم بالاستهزاء ديوبند يأتونني ويسائلونني / ويتنادرون عليكم . إن كثيرًا من الطلاب في الجامعة الإسلامية دارالعلوم عن كيفية تنمية مهارة النطق باللغة العربية ، فأقول لهم : إنّ ذلك لأسهلُ شيءٍ : تكلموا بها كلّ وقتٍ وفي كلّ مناسبةٍ وفي كلّ مكانٍ يجمع بينكم وبين زملائكم غيرَ مُبالينٍ بتنادرِ المُتَنادِرِينَ وسُخْرِيَّةٍ ومعذرةٍ إلى أمثال هؤلاء - مثلُ الكلابِ تَنبُحُ في الطريق ؛ ولكن المارة لا - الساخِرِينَ ؛ لأنّ مثلهم

يُبَالُونَ بِبَنَاجِهَا وَيَمْضُونَ فِي طَرِيقِهِمْ ، وَيَصِلُونَ إِلَى الْمَنْزَلِ . إِنْ الْوَصُولَ إِلَى الْمَنْزَلِ إِنَّمَا يَتَحَقَّقُ دَائِمًا إِذَا لَمْ نُبَالِ بِ”كَلَابِ الطَّرِيقِ” أَيِ الْعَوَاقِقِ وَالْمَتَارِيسِ الَّتِي تَعْتَرِضُ الطَّرِيقَ .

أَنْ تُتَعَلَّمَ وَتُتَلَقَّى كِتَابِيًّا ، فَيَحَاوِلُ الْمُتَعَلِّمُ وَالْمُتَلَقِّي أَنْ يَعُودَ قَادِرًا عَلَى الْكِتَابَةِ وَالتَّالِيفِ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ – أَوْ بِأَيِّ لُغَةٍ يَرِغِبُ فِيهَا وَيَتَصَدَّى لِتَعَلُّمِهَا – وَتَعَلُّمَ لُغَةٍ عَلَى الْمَسْتَوَى الْكِتَابِيِّ أَنْفَعُ وَأَدْوَمُ تَأْثِيرًا؛ لِأَنَّ النُّطْقَ بِهَا وَالخُطَابَ فِيهَا وَالتَّحَدُّثَ مِنْ خِلَالِهَا يَدْهَبُ بَعْدَ فِتْرَةٍ – قَلِيلَةٍ أَوْ كَثِيرَةٍ إِذَا لَمْ يُسَجَّلْ وَيَحْفَظَ مَطْبُوعًا – مِنْ الزَّمَانِ ، حَتَّى يَصِيرَ الْمَسْتَمِعُ لَهُ يَنْسَاهُ وَيَنْسَاهُ الْأَجْيَالُ الْقَادِمَةُ وَلَا تَذْكَرُ مِنْهُ إِلَّا ذَكَرَى تَمَحِّيَ هِيَ الْأُخْرَى عَلَى مَرِّ الْأَيَّامِ . إِنَّمَا نَسَمِعُ ذَكَرًا خَافِتًا لِعَدَدِ مِنْ كِبَارِ الْخُطَبَاءِ بِاللُّغَةِ الْأُرْدِيَّةِ الَّذِينَ كَانُوا خُطَبَاءَ مَصَاقِعَ حَقًّا، وَكَانَ لَخُطَابَاتِهِمْ دَوِيٌّ وَسِحْرٌ وَسُلْطَانٌ عَلَى الْقُلُوبِ فِي عَهْوِهِمْ ؛ وَلَكِنْ هُمُ الْآنَ صَارُوا مَنْسِيئِينَ لَدَى الْجِيلِ الْمَعَاوِرِ فِي أَقَلِّ مِنْ نِصْفِ قَرْنٍ ؛ وَلَكِنْ الْكُتَّابُ وَالْمُؤَلِّفِينَ الَّذِينَ كَتَبُوا لَنَا عُلُومًا ، وَأَلْفُوا لَنَا كُتُبًا لِأَيُّرَالُونَ أَحْيَاءَ لَدِينَا رَغَمَ قُرُونٍ خَلَّتْ عَلَى وَفَاتِهِمْ، فَلَا نَزَالَ نُشِيدُ بِنُزَائِهِمُ الْعِلْمِيَّ ، وَنِتَاجِهِمُ الْفِكْرِيَّ ، وَإِنجَازِهِمُ التَّالِيفِيَّ ، وَنَدْعُو لَهُمْ بِالْخَيْرِ، وَنُقْرِشُ لِأُرُوَاحِهِمُ الْعِيُونَ وَالْقُلُوبَ .

وَلَكِنْ كَسَبَ الْمَهَارَةَ الْكِتَابِيَّةَ بِاللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ – كَأَيِّ لُغَةٍ أُخْرَى – عَمَلٌ صَعْبٌ لِحَدِّمَا ، وَعَمَلٌ يَتَطَلَّبُ وَقْتًا وَجَهْدًا ، وَاهْتِمَامًا وَجِدِّيَّةً ، لِأَنَّ الْكِتَابَةَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهَا الْمُتَعَلِّمُ إِلَّا بَعْدَ مَا يُمَضِي وَقْتًا كَافِيًا فِي التَّدْرِبِ عَلَيْهَا مُرَاعِيًا قَوَاعِدَ اللُّغَةِ وَآدَابَ الْكِتَابَةِ مِنَ الْإِجَازِ وَالْإِطْنَابِ ، وَالتَّرْتِيبِ وَالتَّنْسِيقِ ، وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأخِيرِ وَالْإِطَالَةِ إِذَا اقْتَضَتْ الْمُنَاسَبَةَ ، وَالْإِقْصَارِ إِذَا دَعَتِ الضَّرُورَةُ ، وَتَوَخَّي السَّهُولَةَ وَالسَّلَاسَةَ ، وَالْعَفْوِيَّةَ وَالْحَلَاوَةَ ، وَالصِّيَاغَةَ الْمَحْكَمَةَ ، وَالْأَسْلُوبَ الرَّائِعَ ، وَالجِزَالَةَ وَالدَّقَّةَ فِي مَكَانِهِمَا ، وَانْتِقَاءَ الْأَلْفَافِ الْمَلَائِمَةِ لِلْمَوْضُوعِ ، وَالْوَضْعَ الصَّحِيحَ لِلْفِقْرَاتِ ، وَالْمَنْهَجَ الْجَدَّابِ فِي الْعَرْضِ وَالنَّقَاشِ وَالطَّرْحِ ، بِحَيْثُ إِذَا أَخَذَ الْقَارِئُ الْكِتَابَ بِيَدِهِ لَمْ يَطْرَحْهُ جَانِبًا مَهْمَا أَلَحَّتْ عَلَيْهِ الْحَوَاقِجُ مَا لَمْ يَقْرَأْهُ مِنْ أَوَّلِ سَطْرٍ إِلَى آخِرِ سَطْرٍ فِيهِ ، كَأَنَّ الْمُؤَلِّفَ أَوْ الْكَاتِبَ شَدَّ الْقَارِئَ بِكِتَابِهِ فَلَا فِكَكَ لَهُ مِنْهُ حَتَّى يُنْهِيَ ”وِطِيفَتَهُ” مِنَ الْقِرَاءَةِ .

إنّ البداية في مشوارِ تَعَلُّمِ اللّغَةِ العربيّةِ كتابياً ينبغي أن تكون غيرَ مُعْتَمِدَةٍ على القواعد النحويّة والصرفيّة ، التي يراها الطلاب المبتدئون صعبةً جدّاً، كأنها مادةٌ فلسفيّةٌ ؛ بل ينبغي أن يُحَقِّقُوا أولاً الكلماتِ والمفرداتِ الخفيفةَ ولأسيما التي ربما يكونون قد أَلْفَوْها من خلال اللّغَةِ المحليّةِ التي رُضِعُوا بِلَبَانِهَا ، مثلُ اللّغَةِ الأردنيّةِ وغيرها ، ثم يُعَوِّدُون تَكْوِينَ جُمَلٍ مُّمَاتِلَةٍ من جملةٍ خفيفةٍ قصيرةٍ دون إشارةٍ إلى مُصْطَلَحَاتِ نَحْوِيّةٍ أو صرفيّةٍ ، وإنما يأخذ المُعَلِّمُ جملةً كنموذجٍ من كتابٍ لأطفالٍ العربيّةِ أو يُكوِّنُها من عنده ، ثم يَنْسُجُ عَلَى مَنَوَالِهَا جملةً أو جملتين أو أكثرَ بين يدي الطُّلَّابِ لِيَعُوا مِنْهَا جَ تَغْيِيرِ الجملَةِ و صياغةِ جُمَلٍ في قَالِهَا ، ثم يَأْمُرُهُم بِتَكْوِينِ جُمَلٍ في ضوئِهَا . مثلاً : هذا جَبَلٌ نَأْخُذُهَا نَمُودَجًا ؛ هذا فقيرٌ ، وهَلُمَّ جَرًّا . فَإِذَا أَحْكَمَ الطُّلَّابُ النَسَجَ على منوالِ هذا النموذجِ ، نَنْدَرِّجُ إلى نموذجٍ مثله : ذلك كبيرٌ ؛ ذلك صغيرٌ ؛ ذلك مُعَلِّمٌ ؛ ذلك تلميذٌ . وهكذا . وكذلك يمكن أن يُفَعَّلَ مع "كان التاجرُ صادقاً" كنموذجٍ تُكوِّنُ الجُمَلُ في ضوئِهِ .

فيقال (مثلاً) : كان العاملُ صادقاً ؛ كان التلميذُ صادقاً ، كان المُعَلِّمُ صادقاً ، وهكذا ، فيجري تَغْيِيرُ "كان" وإِحْلالِ الأَخْبَارِ "كان" بغيرِهِ من الأَسْمَاءِ ، ثم يعود المُعَلِّمُ فَيُكَلِّفُ الطُّلَّابَ بِنَزْعِ خَبَرِ "اسم الأخرى محلّه من غير إشارةٍ إلى مُصْطَلَحِي "اسم كان" و "خبر كان" وغيرهما من المُصْطَلَحَاتِ التي قد تُشكِّلُ لدى الطلاب عُقْدَةً قد لا تزول أبداً .

إنني دَرَبْتُ كثيرًا من الطلاب على هذا المنهاج على تعليم الكتابة ، فوجدته أُنْجَعَ وَأَنْجَحَ ؛ ولكنه لا يعزبن عن البال أن قضية أهلية المُعَلِّمِ من عدمها ستبقى قضيةً أساسيةً باقيةً بقاءَ الدنيا ، ولن تتغير مهما تَقَدَّمَ العالَمُ البَشَرِيّ أو تَأَخَّرَ . إنَّ المُعَلِّمَ المُلْهَمَ - ولا يكون المُعَلِّمُ مُعَلِّمًا حتى يكون مُلْهَمًا - المُؤَهَّلَ المُدْرَبَ ذَا الخِبْرَةِ المُطْلُوبَةِ ، قد يصنع معجزةً في تعليم اللّغَةِ العربيّةِ أو غيرها من اللغات ، والمُعَلِّمُ الذي دونه لا يأتي على مستواه مهما كان المنهاجُ الدَّرَاسِيّ مصوغًا في ضوءِ المواصفاتِ العصريّةِ الحديثةِ ، وكان مبنياً على خِبَرَاتٍ طويلةٍ ، وتجاربٍ واسعةٍ ، ومقرراتٍ دراسيةٍ وَضَعَهَا نوابغُ الدهرِ في موضوعاتهم .

و بعد ما يكون الطُّلابُ قد تَمَكَّنُوا من التصرف في الجمل ، وحفظِ الألفاظِ الكثيرةِ ، ومَعْرِفَةِ بعضِ القواعدِ النحويةِ والصرفيةِ ، فينبغي أن يقرأوا القواعدَ النحويةَ والصرفيةَ بشكلِ مستقلٍ ، ولكن الاعتمادَ الكبيرَ ينبغي أن يكون على التعابيرِ وتكليفِ الطُّلابِ بالاستقاءِ منها ومحاكاتها، وتُسْتَخْدَمُ القواعدُ على المستوى الآليِّ وكأداةٍ لتصحيحِ الجملِ وتقويمِ الكلماتِ فلا تُسَلِّطُ على الطلابِ بحيثِ ينهمكون مثلًا . فيها أكثرُ من انهماكهم في تذوقِ اللغةِ العربيةِ والاستفادةِ من التعابيرِ ومحاكاتها في الكتابةِ يحدثُ عمومًا في مُعْظَمِ المدارسِ العربيةِ الأهليةِ ولاسيما التي تَتَّبِعُ المنهجَ النَّظَامِيَّ ؛ قد يكون الأساتذةُ أنفسهم فضلًا عن الطلابِ ممسكين بزمامِ القواعدِ و متمكنين منها؛ ولكنهم قد لا يقدرُّون على الكتابةِ في موضوعٍ ما كتابةً صحيحةً بل قد لا يقدرُّون على تكوينِ جُمَلٍ صحيحةٍ . وذلك يرجع إلى اتكالمهم الزائد على القواعدِ وحدها ، وإلى ظَنِّهم أنها هي وحدها تحلُّ كلَّ مَسْئَلَةٍ فيما يتعلق بتعلمِ اللغةِ العربيةِ . وذلك - كما ترون - اغترارٌ هائلٌ وانخداعٌ مُخيفٌ .

إنَّ تَعَلَّمَ اللُّغَةَ العربيةِ - كأَيِّ لغةٍ ذاتِ قيمةٍ ثقافيةٍ - لن يتم إلا عن طريقِ التمرنِ المكثفِ بعد القراءةِ المكثفةِ وحفظِ رصيدِ كافٍ من الألفاظِ والتعبيراتِ وإلمامِ بالقواعدِ النحويةِ والصرفيةِ ، فالعمادُ هو التمرنُ والمحاكاةُ والسيرُ في ضوءِ التعابيرِ والجملِ ، والتصرفُ الكثيرُ في العبارةِ . فمن حَاوَلَ تَعَلَّمَ اللغةِ العربيةِ عن طريقٍ بغيرِ هذا الطريقِ فلن ينجحَ مَهْمَا نَجَحَ في حفظِ القواعدِ وحفظِ مَعَانِيِ المفرداتِ والجملِ .

إن الطالبَ الذي لا يُتِقِنُ هذه المرحلةَ ، أي لا يَتَبَيَّنُ في إنتاجِ جُمَلٍ من جملةٍ واحدةٍ ، وصياغةِ تراكيبٍ من تركيبٍ واحدٍ نموذجيٍّ في ضوءِ القواعدِ النحويةِ والصرفيةِ ، ولا يَتَسَقَّطُهَا تَسَقُّطًا ، ولا يَعيُّ طبائعَ الأساليبِ والصياغاتِ ، ولا يدرك كيف يأتي في شأنِ كتابةِ اللغةِ العربيةِ البيوتِ من أبوابها ، ويتخطى هذه المرحلةَ إلى مرحلةٍ كتابةٍ فكرةٍ وإنشاءِ مقالٍ ، رأيتُ كثيرًا من أمثاله يظنونُ يتخبَّطونَ خبطَ عَشْوَاءَ عَبْرَ مَشْوَارِهِم الكِتَابِيَّ ، فتضيعُ أعمالهم من حيث يظنون أنهم يُحْسِنُونَ صُنْعًا .

إذا تَمَكَّنَ طالبٌ من هذه المرحلة أصبح قادرًا - بإذن الله تعالى - على الكتابة . وهنا يَتَدَرَّجُ إلى المرحلة الرابعة التي تعني أن يَتَوَقَّرَ على قراءة كتبٍ شبيقة ممتعة بأقلام الأديباء الموثوق بهم أدبًا وفكرًا وعقيدةً ، وكذلك يَعْكُفُ على قراءة مقالاتٍ ، وصحفٍ ومجلاتٍ ، وقصصٍ ورواياتٍ ، مدفوعًا بروح الأخذ والتلقي ، والإمعان والتعمق ، فيستقي من كلِّ منها ، ويتشبع بما فيها من روائع الأقوال وبدائع التعبيرات وأطياب الأساليب . ويحاكيها عن ظهر قلب دون النظر إليها ، فيكتب مقالًا مثل مقالٍ قرأه ، ويصوغ فكرةً مُماثلةً لما قرأه في كتابٍ أو مجلةٍ ، ويُعدُّ خبرًا أو تقريرًا أو قصةً قصيرةً مثلما استوعبه خلال قراءته . وينبغي أن يدوم على هذا التصرفِ زمنًا لا بأس به ، ويعرض ما يكتبه على أستاذ إذا كان مُيسرًا ، وإلا فليكن أستاذ نفسه ، كما كان يقول أستاذنا الكبير فضيلة الشيخ وحيد الزمان القاسمي الكيرانوي رحمه الله تعالى ؛ حيث كان يُعوِّد تلاميذه أن يراجعوا ما يكتبونه كأنهم أساتذة ، وينقدوه انتقادهم ويُحْصُوا الأخطاءَ وعلَّلها . وربما كان - رحمه الله - يكلفهم بذلك حتى في الامتحانات الفرعية ، ويقول : من يستخرج في كتابته أخطاءً أكثر يستحقَّ علاماتٍ أكثر ، ويقول : تَزَوَّدْ بالجراءة على شطب ما يبدو أروع ما في مقالك ! وبذلك تتخرج كاتبًا أمثلًا ، ولا تكون كاتبًا يشار إليه بالبنان إذا ضنَّبت بكل ما في كتاباتك من تعابيرٍ صحيحةٍ أو ذاتٍ خطأ .

في هذه المرحلة يتخرج المتعلمُ كاتبًا أو شبه كاتب ؛ فلا يظنُّ أنه أصبح كاتبًا متقنًا ؛ لأن الإتيان لا يأتى إلا بعد مشوارٍ طويلٍ في الكتابة . وهنا تأتي المرحلة الخامسة التي تعني أن يَتَوَقَّرَ على قراءة كتبٍ وأديبٍ واحدٍ يجمع بين روعة الكتابة وبين الاتجاه السليم ، فيتشرب ما عنده من الألفاظ المنتقاة ، والأساليب الرائعة ، والعرض اللبقي ، والخطاب الحكيم ، وطريقة السير في الكتابة ؛ حتى يتخرج في مدرسته ، ويكون نسخةً منه أو مثلها أو مثل مثلها ، ويحاول أن يستجيب لروحه الكتابية ، ويتبع أثره في صياغة الجمل وفي إتباعه إحداهما الأخرى .

وذلك لأنه يجتاز الآن مرحلة النمو الإتياني ؛ فلا بد أن لا يكون فوضويًا في أسلوبه الكتابي ؛ لأن الكاتب إذا تعرَّضَ للفوضى الأسلوبية لدى تكوُّن الأسلوب ، يظلُّ أسلوبه مُضطربًا عبر حياته ، ولا يكون مستقيمًا ممتازًا ذا هويةٍ منفردة ، وإنما يبقى متأرجحًا بين أساليبٍ عديدةٍ جيدةٍ وريئةٍ ؛ فيتوجب

عليه أن يُنْقَطِعَ إلى دراسة أعمال كاتبٍ أو أديبٍ واحدٍ في هذه المرحلة ، فيُتَابَعُ قراءَتَها وبجانِبِ ذلك يُتَابَعُ الكِتابَةَ في موضوعاتٍ شتَّى يميل إليها ، ولايكتفي بمجردِ القراءةِ دونَ الكِتابَةِ ؛ لأنَّ السائِرَ على درِبِ الكِتابَةِ ما إنْ تَوَقَّفَ سيرُهُ حتى تَعَبَ وَكَلَّ وصار محتاجًا إلى عمليَّةِ إنعاشٍ جديدةٍ ؛ فلايبدُّ للكاتبِ أن يَجْمَعَ دائِمًا بين القراءةِ والكِتابَةِ معًا .

## اللغة توصف نفسية المتكلم

اللغة تقومُ بوظيفةٍ نفسيةٍ للمتكلِّم، فهي النَّتَاجُ الذي يُطْلَعُنا على النسيجِ النفسي للمتكلِّم، كما أنَّها لذلك تُطْلَعُنا على نسيجه العَقْلِي .

- تشير الأدلة العلمية إلى وجود علاقة بين الناحية النفسية وصوت الإنسان، ويظهر هذا الأمر - على غالبية الأشخاص الطبيعيين، حيث بإمكان المستمع أن يعلم الحالة النفسية للمتكلم من خلال

نبرة صوته، فهي تدل على أنه سعيد أو متوتر أو حزين .

ولهذه التغيرات في نبرة الصوت أثر قوي في تغيير السلوك الصوتي للشخص المستمع، وتلك العلاقة التي تربط الصوت بالوضع النفسي للشخص لا توجد في الأوضاع الطبيعية فحسب، بل إن العامل النفسي له دور كبير في إصابة بعض الناس بمشاكل في الصوت يطلق عليها باضطرابات الصوت الوظيفية، وتسمى بالوظيفية نظراً لغياب العامل العضوي كسرطان والتهاب الحنجرة وغيرهما من الأمراض .

وبحسب جمعية الصوت البريطانية، ترتبط مشاكل الصوت ببعض الاضطرابات النفسية كالاكتئاب والقلق واضطرابات الشخصية والسلوك، وعلى معالج الصوت أن يميز ما إن كانت تلك الاضطرابات النفسية عوامل أولية أدت إلى الإصابة بمشاكل الصوت بشكل مباشر أم أنها عوامل ثانوية أصيب بها الفرد نتيجة لإصابته بمشكلة في صوته أم أنها عوامل تزامنت مع إصابة الفرد باضطراب في صوته .

وفي إحدى الدراسات التي أجريت العام ٢٠٠٠، تبين من خلالها أن التغير المرضي في شخصية الإنسان والنتائج النفسية المترتبة على هذا التغير تسهم في إصابة الشخص بالبحّة الصوتية الوظيفية (غير العضوية) وحبوب الحبال الصوتية .

وعلى الفرد المصاب بالبحّة الصوتية زيارة طبيب الأذن والأنف والحنجرة إن استمرت البحة الصوتية لمدة تزيد على الأسبوعين ليقوم الطبيب المختص بتنظير الحنجرة تنظيراً عضوياً، بالإضافة إلى فحوصات أخرى ليتم كشف السبب. وإن لم يتم العثور على المسبب العضوي فقد يكون مسبب البحة الصوتية إما إساءة استعمال الصوت أو التدخين أو العوامل النفسية وتعتبر هذه العوامل من المسببات الوظيفية (غير العضوية)، وتعتبر مناقشة السيرة المرضية مع المريض والاطلاع على التقارير الطبية السابقة أمراً في غاية الأهمية ليساعد الاختصاصي في التوصل إلى المسبب . وينبغي أن يقوم اختصاصي النطق واللغة المختص باضطرابات الصوت بتقسيم وقت الجلسة العلاجية إلى جزئين، الأول: يشمل التدريب المباشر للصوت والآخر يشمل التحدث مع المريض وتقديم النصائح والإرشاد النفسي له .

ويستطيع الإنسان من خلال اللغة أن يتعرف على نفسيّة الكاتب من ملاحظة اضطراب تلك اللغة أو استقامتها ورُسوخها، ونحو ذلك ممّا يُؤثّر على الجوانب المختلفة للغة في أصواتها وأبنيّتها وتراكيبها ودلالات مُفرداتها .

### علم اللغة النفسي :

ترجع العلاقة بين علم اللغة وعلم النفس الى طبيعة اللغة اذ انها احد مظاهر السلوك الانساني ،فإذا كان علم النفس يعني بدراسة السلوك الانساني عموماً فإن دراسة السلوك اللغوي تعد احد جوانب الالتقاء بين علم اللغة وعلم النفس وقد رأى بعض العلماء أن الدراسة اللغوية اذا لم تقم على دراسة القوى النفسية الكامنه وراءها فهي غير مكتملة وكذلك الدراسة النفسية عليها ان تستعين بمعطيات علم اللغة.ومن ثم حدث الامتزاج بين علمي اللغة والنفس مما نتج عنه نشوء (علم اللغة النفسي).

لقد اهتمت (المدرسة السلوكية) بالسلوك اللغوي ، وكان لها اثر كبير في البحث اللغوي الامريكي في النصف الاول من القرن العشرين. ولا بد من الاشارة الى ان هناك فرقاً بين بحث اللغويين وبحث علماء النفس في قضايا اللغة ، فعلم اللغة يهتم بالعبارات المنطوقة عند صدورها في الجهاز الصوتي واثاء مرورها في الهواء وعند تلقي الجهاز السمعي للمخاطب لها. والعلاقة بين الجهاز العصبي والجهاز النطقي عند المتحدث ليست من مجالات البحث اللغوي ، فاللغويون يهتمون باللغة عند صدورها ولا يهتمون بالعمليات العقلية السابقة على ذلك فهي موضوع من موضوعات البحث في علم النفس وعندما تصل اللغة الى الجهاز السمعي للمتلقي ويقوم بنقلها الى الجهاز العصبي تحدث عمليات عقلية اخرى يبحثها علم النفس ايضاً. أما تلك الظاهرة الصوتية التي تصدر عن المتحدث في علم اللغة . وتمضي في شكل موجات صوتية فتصل الى المتلقي في اللغة ،وهي مجال البحث وهناك فرقاً اساسي بين منهج اللغويين ومنهج علماء النفس تجاه الظواهر اللغوية،فقد صرف علماء النفس جهودهم الى اكتشاف قوانين عامة تفسر السلوك الانساني،وركزوا جهودهم على الظواهر العامة

مثل التعلم والادراك والقدرات، ولكنهم لم يهتموا بمحتوى السلوك نفسه. ففي بحث قضية التعلم لم يهتموا بالمادة المنشودة التي تعلم ، بل كان اهتمامهم .

مركزا على عمليات التعلم بحسبانها عملية عقلية، وفي السنوات الاخيرة حاول بعض الباحثين النظر الى اللغة من الجانبين، فلم تعد الاستجابات اللغوية تدرس بحسبانها ضرباً من الاستجابات فحسب، بل البنية اللغوية في ذلك ايضاً .

ويتضح من هذا من مقابلة الدراسات السابقة حول اللغة عند الطفل بالدراسات المعاصرة فهي تبحث الموضوع نفسه بطريقة اللغويين، اي بتحليل لغة الطفل من جوانبها الصوتية والنحوية والدلالية .

فمجال الدراسة النفسية للغة هو كيفية تحويل المتحدث للاستجابة الى رموز لغوية وهذه عملية عقلية تتم عند الانسان وينتج عنها اصدار الجهاز الصوتي للغة. وعندما تصل اللغة الى المتلقي ويقوم بفك هذه الرموز اللغوية في العقل الى المعنى المراد، تتم عملية عقلية اخرى تدخل في اطار علم النفس ايضاً اما تلك الرموز الصوتية التي تنتقل من المتحدث عبر الهواء الى المتلقي فهي مجال البحث في علم اللغة .

ويهتم علم اللغة النفسي بالامور التي تتناول العلاقة بين اللغة والعقل الانساني مثل اكتساب اللغة وادراك الكلام، وطبيعة العلاقة بين اللغة والتفكير، وعلاقة اللغة بالشخصية، ووظيفة اللغة في حالة الصم، ودراسة عيوب الكلام .

والعربية في ذلك الجانب ككل لغات البشر قادرة على أن تعكس النسيج العقلي والنفسي لصاحبها لترصد في النهاية ملامح صورة نفسية للمتكلم بها .

## اللغة مكتسبة

كما يعلم الجميع فإن كل شعوب وحضارات الأرض البشرية كانت لها لغات تتداولها (دائماً منطوقة، وأحياناً مكتوبة ومقروءة)، وبحسب علمنا فإن اللغة لم تخترع بواسطة مجموعة من البشر ثم انتشر استخدامها؛ كحال حروف الهجاء والزراعة، وإنما كان لها أصل في كل حضارة معروفة حتى لو كانت معزولة لألفيات مديدة و لم يحصل لها تواصل مع حضارة متقدمة .

كل اللغات هي أنظمة حسابية معقدة تستخدم أساسات قواعدية وتمثيلية متشابهة، والمدهش أنه لا يوجد ترابط بينها وبين التقدم التقني بحيث أن لغة الحضارات الصناعية ليست بأعقد قواعدياً من

لغات شعوب العصر الحجري، كذلك اللغة الإنجليزية المعاصرة ليست نتاج "تقدّم" الإنجليزية القديمة (والحال نفسه مع اللهجات المحلية للغة العربية ولهجات العرب الأوائل) .

في المجتمعات البشرية، كل فرد طبيعي متمكن من اللغة بغض النظر عن ذكائه، أو حالته الاجتماعية أو مستوى تعليمه. أيضاً الأطفال عادةً يغدون متحدثين بارعين للجمل المعقدة قواعدياً منذ عمر ثلاث سنوات بدون استخدام تعليم وتوجيه رسمي، بل يمكنهم اختراع لغات أكثر تنظيماً مما سمعوه بحيث تشابه لغات لم يطلعوا عليها من قبل وكذلك يتقيدون بمبادئ قواعدية دقيقة ليست لها دلالات في بيئتهم المحيطة .

بالإضافة إلى ذلك فإن هناك أمراض وعلل تجعل من الإنسان نابغة في اللغة بينما هو يعاني من تخلف عقلي شديد، وعلى الجانب الآخر قد تجعل علل أخرى الإنسان محدوداً وقاصراً لغوياً رغم امتلاكه ذكاءً طبيعياً! أيضاً هناك بعض اضطرابات اللغة التي يتوارثها الأبناء عن الآباء عن طريق الجينات .

أما فيما يتعلق بالدماع، فإن بعض جوانب المهارات اللغوية قد أمكن ربطها بمناطق خاصة تتحكم بها - وإن كانت أجزاء متعددة تتداخل في الوظائف-، فأجزاء من الفص الأمامي لها علاقة وثيقة بسلسلة المعلومات المستقبلية وفهم النحو وأجزاء من الفص الصدغي تقوم بتقسيم المعلومات إلى أجزائها التكوينية وإدراك الصرف بشكل عام .

الجهاز الصوتي (الحنجرة والحلق والتجويفان الفموي والأنفي) تبدو مصممة لحاجتنا للكلام -سواءً استخدمناه أم لم نستخدمه كحال الكثير من البكم - إلى درجة أنها تتداخل وتعطل مؤقتاً وظائف حيوية لا غنى عنها مثل التنفس والبلع. أيضاً الجهاز السمعي بجزئيه المركزي (مسارات ومراكز السمع في الدماغ) والطرفي (الأذن الخارجية والوسطى والداخلية) يُظهر تخصصية متكاملة لاحتياجات الإنسان في ترجمة وفك الشفرة السمعية للكلام وتحويله إلى مقاطع لغوية .

عطفاً على ما سبق من الحقائق فإنه يبدو أن دراسة قدرتنا على استعمال اللغة الطبيعية يجدر أن يعنى بها عالم الأحياء البشري ربما أكثر من علماء ثقافة وحضارة الإنسان. ربما يمكن تشبيهها بالرصد بالصدى (إيكولوجيشن) عند الخفافيش أو الرؤية المجسمة (ستيريويسيس) عند القردة، بدل تشبيهها بالكتابة أو العجلة .

تلك أهم الوظائف التي تقوم بها اللغة في حياة المتكلمين بها، وإذا كنا نلاحظ أن غير العرب من كل تجمع بشري يعند بلغته ويوليها من العناية والرعاية ما يجعلها قضية قومية لها الاهتمام الأول والمنزلة الأولى من قضايا المجتمع، فلماذا لا نجد عندنا هذا الاعتدال والاعتزاز بلغتنا العربية التي قامت وتقوم وما تزال قادرة على القيام بما تقوم به اللغات الأخرى في حياة المتحدثين بها ؟

إذا أردنا تشبيه اللغة بشيء يضاهاها من حيث الأهمية فإننا يمكن أن نشبهها بالأساسات التي توضع قبل البناء، فبدونها يستحيل أن نشيد مبنى. وكما توضع الأساسات قبل البناء فإن اللغة تكتسب في

الصغر قبل أن ندخل معترك الحياة بدءاً بالمدرسة ثم الجامعة ثم العمل وهلم جرا، فبدون اللغة لا تستقيم الحياة.

لكن اللغة حالها حال الأساسات ليست هدفاً بحد ذاتها، فكما أن الغرض من وضع الأساسات تشييد البناء لا الأساسات بحد ذاتها، فإننا نكتسب اللغة لنحقق بها مقاصدنا المتنوعة في الحياة وليس لمجرد استخدامها. ولذلك نلاحظ أن ابن خلدون عندما صنف العلوم وضع اللغة ضمن العلوم الآلية التي نسعى إلى تحصيلها لا لذاتها وإنما لنستخدمها من أجل تحصيل العلوم المقصودة لذاتها. ولأنها للحياة بمنزلة الأساسات للمبنى فإن اللغة يجب أن تكون متاحة للجميع على مختلف مستوياتها التي نحتاجها، فكما نكتسب شقها العامي دون عناء فإن من الضروري أن نكتسب شقها الفصيح بسلاسة أيضاً، وهو ما يستلزم أن يكون ذلك الشق الفصيح حاضراً بقوة في مجالاته فنكتسبه اكتساباً طبيعياً دون الدخول في أي عالم الافتراضي.

## أسباب الانصراف عن اللغة

إنَّ هذا الموقف يعكسُ هزّةً نفسيّةً وحضاريّةً أصابت المتحدّثين بالعربيّة لأسبابٍ تجمّعت عليها وعلى المتكلّمين بها كان من جرّائها أنْ أهملَ الكثيرون هذه اللغة وباتَ بعضهم ينظُرُ إلى غيرها ليجدَ فيه ما قد يُبلّغه أمّله في الحصول على مركزٍ أو مالٍ بإجادة غيرها .

لقد مرّت على هذه اللغة فتراتٌ أهملَ ذُو السُلطان وأولو الأمر شأنَ العربيّة؛ ممّا جعلَ الناسَ ينصرفون عنها إلى غيرها ممّا يُحصلون به غرضهم من المال أو الجاه؛ فمدرّس العربيّة مثلاً لا يتحصّل في بلاد هذه الأُمّة في الغالب الأعمّ على الراتب الذي يكفيه ليعيشَ عيشةً كريمة .

لقد أدركَ أعداءُ هذه الأُمّة على مدار تاريخها الطويل ممّن حاولوا أن يقضوا عليها أنها أُمّةٌ غير قابلةٍ للدّوبان في هويّةٍ وذاتٍ من يَغزوها ويحتلّها، ولقد أدركَ أنّ تدنّي هذه الأُمّة هو سرُّ تماسكها واعتصامها، وسرُّ دوامها على هذا النّهج؛ فكانت حملتهم على الرُّموز الكبرى والشخصيّات العظمية في تاريخ هذه الأُمّة؛ ليصرفوا الناسَ عن الاقتداء بهم والسّير على نهجهم، لكنّ هذه الحملة لم تُفلح ولم تُؤتِ الثّمرة المرجوّة منها، فقد قيّض اللهُ من ردّ على مثل هذه الافتراءات؛ فأخرج العقاد مثلاً عبقرياته التي ردّها على مثل هذه الحملات .

لذلك تواجه اللغة العربية في عصرنا هذا عدّة مشكلات، ولولا أنها لغة التنزيل الذي تكفل الله - عز وجل - بحفظه، لكانت مشكلة واحدة فقط من هذه المشكلات كقيلة بالقضاء المُبرم على هذه اللغة الشريفة .

هذه المشكلات نراها - وللأسف - تتضخم يوماً بعد يوم، دون أن نجد خطوة عملية من أهل هذه اللغة نحو القضاء عليها، أو حتى العمل على الحدّ من خطورتها، بل قد أكون غير مبالغ إن قلت: ونحن نشعر أو لا نشعر - على ترسيخ هذه - إننا - نحن العرب - نعمل في كثير من الأحيان خُطبنا الدينيّة والسياسيّة، وندواتنا، وحواراتنا، وإعلامنا، ومدارسنا، :المشكلات، وذلك بإهمالنا لها في وجامعاتنا، بل في مناقشة رسائلنا العلمية المختصة باللغة العربية .

في الحقيقة- أنفسنا، -إن حالنا مع اللغة العربية حال تدعو إلى الأسى، لأننا بإهمالنا لغتنا نهمل وحضارتنا، وتاريخنا، ومجدنا، وتراثنا، إننا نعمل على ذوبان أنفسنا في غيرنا، الذي يسعى جاهداً لتحقيق ذلك؛ لذا جاءتنا صيحات منه تدعو مرة إلى الحداثة، وأخرى إلى العولمة، وما ذلك إلا للقضاء على هويتنا، فهل تفيق أمتنا من هذا السُّبات العميق؟

إن اللغة العربية عامل أساسي من عوامل الحفاظ على كياننا، لذا وجب علينا الحفاظ عليها،

والاهتمام بها، فهي لغة القرآن الكريم، من هذه المشكلات :

مزاحمة العامية للغة الفصحى في كثير من الميادين، التي ينبغي أن تكون للفصحى دون غيرها،  
مثل :

أ- قاعات الدرس وما شابهها: حيث تزاحم العامية اللغة العربية الفصحى في معقل من أهم معاقلها،  
إذ إنها تزاحمها وتحاصرهما في قاعات الدرس، داخل المدرسة والجامعة، فنجد تدريس العلوم المختلفة  
ومنها: اللغة العربية، يتم بالعامية، وهذا يحمل في طياته اتهامًا للفصحى بعدم صلاحيتها للتدريس،  
بل لتدريس الفصحى، شعراً ونثرًا وقواعد، وإن هذا لمن أشد الأمور خطرًا على هذه اللغة ؛ إذ تُهان  
على يد مَنْ يُفترض فيهم إعلاء شأنها، وإعادة مجدها، والذود عن حياضها .

بل إن مما يؤسف له أن تُستخدم العامية في مناقشة الرسائل العلمية، التي تُعنى باللغة العربية  
الفصحى وآدابها، فكثير من هذه المناقشات - إن لم تكن جميعها - تختلط فيها العامية بالفصحى،  
مما يذهب برونق الفصحى وجمالها .

ويضاف إلى ما سبق المحاضرات العامة، والندوات، والخطب الدينية، وغير الدينية، كل ذلك وما  
شابهه نجد العامية مسيطرة عليه، عدا قلة قليلة ما زالت - بفضل الله - متمسكة بالفصحى  
فهل هانت علينا لغتنا إلى هذا الحدّ؟ إن الفصحى المنطوقة لم يعد لها وجود في المدارس، ولا في  
الجامعات، ولا في الندوات العلمية، وهذا نذير خطرٍ، لأن ضياع اللغة يعني ضياع أهلها، وطمس  
هويتهم .

ب- وسائل الإعلام المختلفة: فالناظر إلى الإعلام العربي بوسائله المسموعة والمرئية، الأرضية  
والفضائية، يجد أن اللغة التي يستخدمها هي العامية، ولا يستخدم الفصحى إلا في نشرات الأخبار،  
.وبثّ الخطب السياسية التي يلقيها القادة والزعماء في المناسبات المختلفة، وما شاكل ذلك  
أما البرامج، والمسلسلات، والأفلام، والمسرحيات، والتعليق على المباريات، وغير ذلك فالعاميات هي  
المستخدمة، إذ يستخدم كل قطر عاميته فيما ينتج من برامج وأفلام... إلخ .

ج- الإعلانات التجارية: حيث يعمد أصحاب المصانع والشركات، والمحلات التجارية إلى الإعلان  
عن بضائعهم في الصحف والمجلات، والإذاعة والتلفزيون، كما يكتبون لافتات ويعلقونها في

الأماكن المزدهمة، ويعمدون - كذلك - إلى طباعة أوراق وتوزيعها على جمهور الناس، يفعلون ذلك كله كي تروج بضائعهم .

وعندما ننظر إلى هذه الوسائل نجد أن العامية تختلط فيها بالفصحى اختلاطاً مشيئاً، ولكي نكون جادّين في العمل على انتشار الفصحى وانحسار العاميات، علينا أن نُبدي اهتماماً كبيراً بالفصحى في عدّة ميادين منها :

أ- البيت: فنهتم بها في بيوتنا، نحبيبها إلى أبنائنا، ونعلمهم إياها، فالبيت هو البيئة الأولى التي تولد فيها لغة الطفل .

ب- المدرّسة: للمدرسة - وكذلك الجامعة - أهمية كبرى في نشر الفصحى وحلولها محل العاميات، ويكون ذلك باختيار المنهج الملائم، حيث تعتمد العملية التعليمية في المدارس على اختيار موضوعات في علوم مختلفة، والأصل فيها أن تكون مناسبة للمستوى الذي اختيرت له، وبالنظر في حال اللغة العربية، وما آلت إليه من ضعف، نجد أن « كثيراً من أسباب القصور الحاصل في تعليم اللغة العربية لأبنائنا، يرتبط بالمنهج إلى حدّ كبير ».

كما أن طريقة التدريس لها دور كبير في تفاقم المشكلة اللغوية أو علاجها، فتقديم المادة العلمية في قالب عامي، له أثر كبير في القضاء على الفصحى، وتقديم العامية بديلاً لها، وفي ذلك اتهام للفصحى بالعجز عن توصيل المفاهيم، وتزداد خطورة هذا الاتهام إذا كانت المادة العلمية المقدمة للطلاب هي اللغة العربية شعراً ونثراً .

وأرى - من الواجب - أن يتوجه هذا الاتهام إلى هؤلاء المستمسكين بالعامية داخل الفصل الدراسي، فهم الذين يعجزون عن استعمال الفصحى في توصيل ما يريدون، أو شرح ما هم بصدد من شعر أو نثر .

وقد يقول قائل: إن هذا يحدث داخل الفصول مراعاة لحال الطلاب، وأقول: إن هذه حجة واهية، فالطلاب الذين يدخلون كلية الطب - مثلاً - تلقى عليهم المحاضرات من أول يوم باللغة الإنجليزية، ومعظمهم لا يؤهله مستواه فيها لفهم كل ما يسمعه، ولكنه يعمل على رفع مستواه، وشيئاً فشيئاً نجده

يفهم ما يسمع .

مع أننا في حالة التحدث بالفصحى أمام الطلاب، سنخاطبهم بلغتهم الأمّ، فالأمر أيسر كثيراً، وحتى لو وجدنا منهم صعوبة في الفهم، ستكون مؤقتة سرعان ما تزول، بإذن الله تبارك وتعالى، المهم أن نبدأ، دون تباطؤ أو تكاسل .

أمر آخر يجب التنبيه إليه في طريقة التدريس، وهو التخلي عن طريقة التلقين، فهي طريقة تعتمد على طرف يُلقِي، أما الآخر فلا يفعل سوى أن يتلقى، وبهذا يفقد الطالب التفاعل مع لغت .

ج- وسائل الإعلام: فمن المعلوم أنه لا يستطيع الإعلام أن يساهم في حلّ المشكلة اللغوية، إلا إذا كان قدوة يُحتذى بها، في الالتزام بالفصحى، والدعوة إلى التزامها نطقاً وكتابة، وبيان أهميتها في الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية، بل الكفّ عن تشويه صورة مُعلِّمِها، والحطّ من شأنها .

لقد انتشرت القنوات الفضائية انتشاراً واسعاً، وبالتالي لم تعد الرسالة الإعلامية موجهة إلى بلدٍ دون بلد، وأصبح من الضروري أن يلتفت القائمون على أمر هذه القنوات إلى الوسيلة الفاعلة في توصيل رسالتهم إلى جميع الناطقين باللغة العربية، وحينئذ لن يجدوا أفضل من الفصحى وعاءاً لحمل هذه الرسالة وتوصيلها، دون أن يغيب عن هذا أو ذاك معنى كلمة من الكلمات، بخلاف العاميات والطرقات التي لا يعرفها إلا أهلها المتحدثون بها، ولو فعل هؤلاء ذلك لاستفادوا توصيل رسالتهم، ولاستفادت اللغة العربية ذيوغاً وانتشاراً، وأهلها عزّة وفخاراً .

أما ما نراه الآن من طغيان العامية، بل العاميات على هذه القنوات فهو أمر محزن حقاً، إذ يهدر قيمة اللغة بين أبنائها، ويهدد الهدف الذي من شأنه أعدّ هذا البرنامج أو ذلك، لأنه عندما يذاع بعامية بلدٍ ما، فإن أهل البلدان الأخرى لا يستطيعون إدراك كثير من الكلمات التي يسمعونها .

ورغم كثرة القنوات الناطقة باللغة العربية فضائيةً وأرضيةً، وتنوع اهتماماتها، فإننا - للأسف - لا وهي Space Toon نجد منها - حسب علمي - إلا قناة واحدة تلتزم الفصحى في كل ما تبثه هي قناة للأطفال، ولها أثر كبير في الارتقاء بلغتهم حسب ما شاهدت بنفسي، فالأطفال متعلّقون بها عدّاً للأعلام فإنها - جدّاً، ويفهمونها جيداً، وبسبب التزامها باللغة العربية الفصحى في كل ما تبثه تكون أحياناً أعجمية - فإن الأطفال في لعبهم، ومحاكاتهم لبعض برامجها، ينطقون بالألفاظ

الفصيحة التي يسمعونها في تلك البرامج، وهذا دليل قويّ على أهمية السماع في تكوين الملكة اللغوية وتنميتها، كما أنه دليل قوي على أهمية وسائل الإعلام المرئي - خصوصاً - في علاج المشكلة اللغوية، والارتقاء بالفصحى .

من المشكلات التي تواجهها لغتنا الفصحى - كذلك - مزاحمة اللغات الأجنبية لها، حيث تزاحم اللغات الأجنبية اللغة العربية في عدة ميادين، والسبب القويّ في ذلك - حسب ما أرى - يكمن في تخلفنا حالياً في الجانب الماديّ من الحضارة، من هذه الميادين :

أ- الحوار اليومي بين المثقفين

ب- الإعلانات التجارية

ج - التدريس في كليات الطب والصيدلة وما شابهها

د- مواقع بعض الجامعات على الشبكة العالمية للمعلومات ( الإنترنت ) .

هـ- في المناهج الدراسية

حيث نجد اهتماماً ملحوظاً - في العالم العربي - بتعليم اللغات الأجنبية وتعلمها - خصوصاً الإنجليزية - ويتم ذلك بداية من مرحلة رياض الأطفال، وأؤكد - هنا - أنني لست ضدّ تعليم اللغات الأجنبية وتعلمها، بل إن ذلك يصل في بعض الأحيان إلى درجة الضرورة، أو الفرض الكفائيّ، ولكن المؤسف أن يكون ذلك قبل نضج التلاميذ، وتمكنهم من لغتهم الأصلية .

وإذا كانت اللغات الأجنبية تزاحم اللغة العربية، في عدة ميادين - كما سبق - فإن علاجها يكون من عدّة نواحي، منها :

أولاً: العمل على غرس الاعتزاز باللغة العربية الفصحى في نفوس أبنائها، والانتماء لها كي لا تُفقد في الحوار الحيّ، والاستعمال اليومي، وتحلّ محلّها لغةً أجنبية، أو تختلط بها اختلاطاً مشيناً على ألسنة الناطقين، وأرى أن يتم غرس هذا الاعتزاز في النفوس عن طريق أمور عديدة منها:

أ- بيان الارتباط الوثيق بين الحفاظ على اللغة العربية الفصحى، وبين القرآن الكريم والسنة النبوية، من حيث إنها وعاءٌ لهما، فضياعها والقضاء عليها، يهدف إلى القضاء على القرآن الكريم، وذلك لن

- يكون بإذن الله - عز وجل ، لقوله تعالى : (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ) .
- ب- تعريف الجمهور العربيّ بالجهود العظيمة المباركة، التي قام بها علماءنا القدامى، من أجل الحفاظ على الفصحى، ونزولهم البوادي لجمع اللغة، وتحملهم في سبيل ذلك المشاق والمصاعب والآلام، وأنه يجب علينا ألا نكون أقلّ منهم غيراً على الفصحى، لغة القرآن الكريم .
- ج- قيام الأدوات الفاعلة بواجبها في توعية الجمهور العربي، بالمكائد التي يُراد منها ضياع اللغة العربية، وفقدان الشخصية العربية الأصيلة، وأهم هذه الأدوات وسائل الإعلام، لما لها من تأثير كبير في التوجيه والإرشاد .
- د- نشر الوعي بالآثار الحميدة التي تترتب على الالتزام باللغة العربية الفصحى، من التفاهم بين أبناء الوطن العربي، مما يؤدي إلى الوحدة المنشودة، وعدم الذوبان في الثقافات الوافدة .
- هـ- نهوض مَنْ هم في موقع المسؤولية بالواجب الذي يُحتمّ عليهم أن يكونوا قدوة صالحة في غرس الاعتزاز بالفصحى، وذلك كالرؤساء، والحكام، والملوك، والأمراء، والوزراء، وأعضاء هيئات التدريس، وأعضاء المجالس النيابية.. الخ .
- ثانياً: إعادة النظر في فرض تعليم اللغات الأجنبية منذ وقت مبكر، فإذا كانت لتعليم اللغات الأجنبية فوائدٌ عظيمة، فإن هذا يجب أن يبدأ بعد أخذ الطالب جرعة كافية - إلى حدّ ما - من لغته الأصلية.
- ثالثاً: تشريع القوانين اللازمة أو تفعيلها في حال وجودها، لمنع استعمال اللغات الأجنبية في الإعلانات التجارية، وأسماء الشركات والمصانع، والمحلات التجارية، والمنتجات.. الخ .
- ولقد أدركت فرنسا خطورة هجمة اللغة الإنجليزية التي أوصلتها الأقمار الصناعية إلى بيوت الفرنسيين، حتى نجح الإبهار الأمريكي في جذب عدد كبير من المشاهدين، واختراق ألسنتهم، مما دفع حراس المشروع الفرنسي في مايو ١٩٩٤م لتشريع قانون أُطلق عليه اسم « لزوم الفرنسية » يمنع أيّ مواطن فرنسيّ من استخدام غير الفرنسية طالما أن هناك ألفاظاً أو عبارات مماثلة، تؤدي ذات المعنى في الفرنسية، والمجالات التي يسري عليها الحظر هي: كافة الوثائق والمستندات، والإعلانات المسموعة والمرئية، وكافة مكاتبات الشركات العاملة على الأرض الفرنسية، وبوجه

خاصّ المحلات التجارية، والأفلام الدعائية، التي تُبثّ عبر الإذاعة والتلفزيون، بل إن القانون اشترط على الجهات المحلية والحكومية ألا تمول سوى المؤتمرات والندوات التي تكون الفرنسية لغتها الأساسية، كما منع نشر أعمال تلك المؤتمرات والأبحاث التي قدمها أجنب بلغتهم الأصلية، ما لم تكن مصحوبة بملخص مكتوب بالفرنسية، وأوصى القانون بعقوبة المخالف بالسجن أو الغرامة المالية، التي تصل إلى ما يعادل ألفي دولار، وذلك كله محاولة لاستنقاذ التراث الفرنسي المههد بالإغراق اللغوي .

وما أوجبنا إلى مثل هذا القانون، شريطة أن يُطبق ويُعمل به، ليردع المخالفين، ويردّ للغة العربية كيانها وعزتها، التي كادت تفقدها بين أهلها .

رابعاً: العمل على تكوين قاعدة علمية في الوطن العربي، تكون نقطة الانطلاق للمشاركة في التقدم التقنيّ، ليكون العالم العربي مشاركاً في صنع التكنولوجيا، لا مجرد مستهلك لها اسماً ومُسَمّى .

خامساً: تعريب التعليم الجامعي، أي تدريس العلوم الطبيعية باللغة العربية .

سادساً: مواكبة التقدم العلمي بوضع مصطلحات علمية موحّدة، مع ضرورة نشرها على الجمهور العربي عموماً، وعلى المختصين بالعلوم الطبيعية درساً وتدرّساً على وجه الخصوص، وذلك بالوسائل المختلفة، لئلا تظل حبيسة الأدراج، أو بطون المعاجم .

إن مما أصاب لغتنا العربية يدعو للتحريض والتدقيق و خصوصاً في مدارسنا على امتداد القطر؛ ضعف واضح في اللغة العربية إضافة إلى أخطاء جسيمة في الإملاء . إضافة إلى سوء الخط لدى أطفالنا و تلاميذنا و حتى مربّي الأجيال والأمر يتعدى ذلك وهو أن أغلب الطلاب الذين ينتقلون من المرحلة الابتدائية إلى الاعدادية يخطئون في كتابة أسمائهم إضافة إلى الضعف في الإملاء وقواعد اللغة العربية لغة الأجداد ولغة القرآن الكريم؛ هذا مؤشر له دلالاته الخطيرة. وحتى نعرف الأسباب و المسببات طرحنا عدة أسئلة على المعنيين باللغة العربية فكان لكل واحد منهم رأيه الذي طرحه بهذا الخصوص .

ظاهرة غريبة بدأت ترسم ملامحها في مدارسنا وهي ضعف الطلاب في اللغة العربية .

اللغة العربية هي اللغة التي يستخدمها أطفالنا أثناء الحديث في كل الأمور الحياتية و هي التي يتعلمون بها العلوم التي ينهلونها من مدارسهم ؛ وضعفهم ليس في اللغة العربية نفسها أو التفاهم بها إنما هو في قواعد اللغة العربية فكلامهم في كل الأمور هو اللغة العربية ؛ و إن لم تكن معربة وتسمى هذه اللغة :العربية المحلية أو اللهجة المحلية أما الضعف في قواعد اللغة العربية فله أسباب أخرى كثيرة نذكر منها :

- الاستخدام السيء لبعض الوسائل العلمية الحديثة مثل: متابعة بعض الفضائيات التي تروج لانتشار اللهجات القطرية و محاكاتها وقضاء معظم الطلاب في مقاهي أو مراكز الألعاب الالكترونية التي لا هدف تربوي أو تعليمي منها .
- عدم أو (ضعف) اهتمام الأهل بتوجيه أبنائهم نحو الاهتمام باللغة العربية وقراءة الكتب المفيدة و التي تقوي لغة الأبناء.
- الضعف المنقشي في المدارس في مادة اللغة العربية و عدم وجود المدرس المختص في أغلب المدارس و خاصة في الأرياف والاستعاضة عنهم بمعلمين وكلاء يحتاجون إلى من يعلمهم اللغة العربية .والمثل القائل : (فاقد الشيء لا يعطيه).ينطبق على ذلك بشكل كبير .
- يعزى أيضا هذا الضعف أو جانب منه إلى عدم اهتمام المدارس والمدرسين بإجراء مباريات منهجية في مادة اللغة العربية بمختلف فروعها كالنحو والإملاء و الخط وتشجيع التلاميذ لاهتمام بها.
- انشغال التلاميذ في اللعب واللهو في أحيان كثيرة وقضاء معظم أوقاتهم في الشوارع والحدائق والهروب بذلك عن أداء واجباتهم المدرسية .
- كل ذلك وهناك الأسباب الاقتصادية و الاجتماعية تلعب دورا كبيرا في ضعف الأبناء باللغة العربية فمن لا يستطيع شراء الكتب التي تزيد معرفة التلميذ أو المجلات و الجرائد التي تعنى باللغة العربية ليبقى على اتصال بهذه اللغة في المدرسة وفي البيت سوف تتناقص معارفه فيها حتى تضعف أو تفنى .

- ولا بد لي من التنويه إلى أننا لم نعد نتكلم باللغة العربية الفصيحة في مجالسنا و في حديثنا مع أطفالنا و نعلمهم بدلا من ذلك اللهجات المحلية و كل حسب منطقته وربما نتباهى بهذه اللهجات المحلية التي سوف تؤثر على معارف أبنائنا وتبعدهم عن اللغة العربية الفصيحة لغة الآباء والأجداد؛ واللغة التي نعتز بها ونعتبرها أهم رابط من روابط القومية العربية .

ظاهرة بدأت تستشري في مدارسنا وهي ضعف الطلاب في اللغة العربية . ما أسبابها؟

وكان لموجه اللغة العربية الدكتور عياد خير الله الرأي التالي:

ترجع ظاهرة ضعف الطلاب في مادة اللغة العربية إلى أسباب كثيرة أذكر منها :

- النقص في عدد المدرسين المؤهلين في بعض المناطق .
  - عدم تحمل الأسرة مسؤوليتها في متابعة أبنائها و عدم تجاوبهم مع المدرسة في كثير من الأحيان.
  - تقصير الطلاب في متابعة دروسهم ؛ وانشغالهم بأمور أخرى غير دراسية لأسباب معاشيه واجتماعية أو غير ذلك .
  - تسرب الطلاب في مرحلة التعليم الإلزامي.
  - ولعل من أهم الأسباب عدم التحدث باللغة العربية الفصيحة في لغة التخاطب و الحوار ؛ وهذا الأمر يطلب من الجهاز التعليمي كما يطلب من وسائل الإعلام والمجتمع بشكل عام .
- وتقوم وزارة التربية الآن بتطوير المناهج الدراسية و إقامة دورات تأهيل مكثفة للمدرسين لمعالجة هذه الظاهرة ؛والسير في التعليم في ركاب التقدم العلمي المنشود .

لذلك فإن ظاهرة الرسوب ظاهرة عامة موجودة بوجود الامتحانات و فيما يتعلق باللغة العربية قد يكون الموضوع نسبيا و ليس مطلقا ؛ فإننا قد نجد ضعفا في مدرسة ولا نجده في مدرسة أخرى كذلك نجد في الصف الواحد طالبا ضعيفا وآخر قويا في اللغة العربية وغيرها في المواد.

وظاهرة الرسوب في اللغة العربية تعود إلى أسباب مجتمعة وليس سببا واحد ؛ لأنه بحسب النظريات الاجتماعية لا تتشكل ظاهرة سلبية بسبب واحد إنما بأسباب كثيرة تؤدي إلى نشوء هذه الظاهرة ومن هذه الأسباب :

- سوء استخدام التكنولوجيا الحديثة من قبل الطلاب .
- عدم اهتمام الأهل بأبنائهم الطلبة و انشغالهم بأمورهم الاجتماعية و الاقتصادية.
- ضعف طرائق التدريس لبعض الزملاء المدرسين المختصين و صعوبة في المناهج القديمة.
- عدم التحدث باللغة العربية الفصيحة في الصف وفي المحاضرات والندوات .

### محاولة القضاء على اللغة بشتى الطرق

لذلك فكّر أعداء هذه الأمة في وسائل أخرى؛ لعلهم يستطيعون بها أن يُفوّضوا سِرَّ تَماسُكها ويُفَنِّتُوا مادَّةَ وُحْدَتهم وقوامهم، إضافةً إلى ما سبق الإشارة إليه، فمن ذلك :

مُحاوِلة القَضاء على مادَّة تَماسُك هذه الأُمَّة بقوَّة السلاح، وقد تمثَّل ذلك في حُرُوبٍ وحملاتٍ خاضها أعداءُ هذه الأُمَّة للقضاء عليها بقوَّة السلاح فما استطاعوا، وإذا بهم بعد فترةٍ يُفاجِئُون بأنَّ تلك الحملات ما هي إلا هَرَّةٌ تَفِيقُ من جرائها هذه الأُمَّة، ليزداد تَماسُكها وتعظُّم قوَّتُها من جديد .

عرض النموذج الأدبي للحياة الراهنة على أنه آخر حلقة من تطوّر حَيوات البشر، وأنّ: ومن ذلك البشريّة تمرُّ بمراحل من التطوّر، وأنّ ذلك يتّم في حلقات تسلم الواحدة منها إلى الحلقة التي تليها؛ فمن المجتمع البدائي، إلى المجتمع الأسطوري، إلى المجتمع المتديّن، إلى المجتمع الحديث على نموذج صَوْرَه الغرب يقومُ على أسسٍ ومبادئ تُخالف في أخلاقيّاتها وعاداتها وأعرافها ما عليه هذه الأُمَّة، وقد استنّاع هذا العرض للنموذج الأوربي في الحياة جَدَبَ عددٍ غير قليل، حاكى في حَياته الغرَبَ غالبًا في المظهرِ لا الجوهر والمخبر، وكان أنِ اهتَمَّ بلغةٍ أخرى غير لغته القوميّة لينقل بها ويفهم هذا النموذج الغربي .

أنّ أعداء هذه الأُمَّة قد أدركوا أنّ تديّنها هو سِرٌّ استعصائها على الذوبان في هويّة: ومن ذلك غيرها، وأنّ اللغة هي الوسيلة إلى فهمها لدينها، ومن هنا توجّهت الهمم وتبارى المخطّطون والمنفّذون لتعبئة روح ونفوس ناشئة الأُمَّة ضد العربيّة، بتصويرها لغةً صعبةً مُعقّدة، لا تُجاري العصر، ولا تستطيع أن تُغيّر عن مُستحدّثاته .

قد اتّخذوا لذلك وسائل شتى؛ فمن ذلك أن يظهر مدرس العربيّة والديّن بمظهر غير لائقٍ ولا حضاري في بعض الأعمال المسرحيّة والمسلسلات، من جرّائها يُعبأ شعور ناشئة هذه الأُمَّة بالكراهية لمدرّس اللغة العربيّة والديّن، ومن هنا فقدت العمليّة التعليميّة أسمى أواصرها وروابطها، وهو عاطفة الاحترام والحب المتبادل بين المعلّم والمتعلّم؛ ممّا مهّد لخطرٍ عظيمٍ هو إهمال هؤلاء الناشئة للغة وحصصها؛ فأدّى ذلك إلى ضعفهم فيها، وصيرورتها عقبةً أمامهم بتقادّم العهد وطول الزمن، ومن ذلك تخبُّطٌ لا يمكن إغفاله في مناهج اللغة وكيفيّة تدريسها، لقد فقدت الناشئة في هذه الأُمَّة مَعِينًا كان يُغذّي فيها تمكّنها من اللغة، هذا المَعِين يتَمَثَّل في حفظ شيءٍ من القرآن الكريم وبعض الحديث في الكتاتيب أو دور تحفيظ القرآن الكريم كما يحلو لبعضهم أن يُسمّيها، فكان هذا المحفوظ يُمثّل ثروةً وزادًا لهؤلاء،

منه يتعلمون كيفية التعبير عمّا في نفوسهم في قوالب مُستقاة من ذلك المحفوظ في سنّ الصبّا والصّعّر .

بما لها من حيوية وقدرة على تجديد نفسها فضلاً عن ذلك بالطبع لم يكن العيب في اللغة العربية مرونتها في الاشتقاق وخصوبتها في التوليد اللغوي إذا ما تعهدتها عقلية جادة ذات طبيعة علمية متخصصة، وخلصت نوايا الإنجاز، وهي سمات حملت إليها الكثير من صفات الإعجاز التي ميزتها عن غيرها من اللغات وجعلت لها اليد العليا على لغات سائر البشر وليس أدل على ذلك من دخول أكثر من ألف عشرة آلاف كلمة عربية إلى اللغة الإنجليزية وحدها.. بينما لم تدخل إلى اللغة العربية كلمة من مختلف لغات العالم .. وأيضاً كانت العربية طوال تاريخها قادرة على التحدث بطلاقة بلغة العلم وليس أدل على ذلك من أن العلماء المصريين قد قاموا بترجمة ٨٦ مرجعاً في الطب والتي في سنة ١٩٠٣ بتغيير لغة الدراسة في مدرسة الطب من العربية اللورد كرومر انتهت تجربتهم بقرار إلى الإنجليزية !

بل كمن في خمول العقل العربي في عقود الأخريرة عندما ابتعد لم يكن العيب في اللغة العربية .. عن معالجة القضايا التفكيرية والعقلية والعلمية وما أستتبع ذلك من فقدان المفردات المناسبة لبعض ما يتم تداوله من المصطلحات الأجنبية في الاستعمال الشائع؛ بسبب ضعف حركة التنظير اللغوي وإعداد المعاجم والاتجاه نحو إعداد اللغة للترجمة الآلية؛ ولذا أصبح من الصعب إيجاد المصطلح الملائم للغة العربية من جهة، والقارئ العربي من جهة أخرى، وقد انقطعت محاولات التنظير اللغوي بعد محاولات جادة في نهاية القرن ١٩ قام بها أحمد فارس الشدياق، ومنذ ذلك الحين لم نشهد سوى بعض مبادرات مغربية في مجال التنظير اللغوي وتونسية في مجال المعجمية وسورية في مجال التعريب وبعض محاولات من مهندسي تكنولوجيا المعلومات لصك مصطلحات عربية في مقابل نظيرتها اللاتينية لكاد المشهد اللغوي لدينا يخلو من أي جديد وقد أضافت تلك المحاولات الجادة دليلاً جديداً لما أسس له العلماء المصريون في الطب .

وقد جعلتني تجربتي الشديدة الخصوصية في الكتابة عن حرب المعلومات " أبحث في المحاولات المزعومة لتجديد اللغة العربية لعلي أجد عليها هدى مستعينا بما أتاحت لي من دراية دراستي بإدخال بعضا من العامية في الفصحى تحت مسمى " ضبط العامية واستخدامها في الكتابة!!"، ومحاولة البعض باستبدال الفصحى بالعامية، وتسكين أواخر الكلمات عوضا عن الإعراب واستبدال حروف الكتابة العربية بالحروف اللاتينية بزعم عدم القدرة على تطويع الحرف العربي بما يتناسب مع منظومة الطباعة وهو ما كذبتة الأحداث فالיום نشهد مئات الأبناط والفوننتات التي تستخدم جماليات الخط العربي وانسيابية وتناسقه في منظومة الطباعة .

وقد تيقنت أن تلك الأفكار التي قدمت إلينا في أثواب علمية في ظاهرها بينما باطنها يتسع للكثير .. من الأهداف المغرضة إنما هي " حرب فكرية " تعد امتداداً نفسياً وعقلياً للحروب المسماه زوراً بـ "الصليبية" .. حرب همها ابتلاع تاريخنا والسيطرة على مقدراتنا ونهب ثرواتها .. حرب تسود فيها النفوس بظلام الأحقاد !!، .. ولا تمت تلك الأفكار للعلم بصلة وغير مبرئة من عبث الأصابع القذرة للإستعمار والاستشراق والتبشير لإحكام السيطرة على المستعمرات وتجنيد الجواسيس والاتصال بالعوام من ناحية، ومن ناحية أخرى هدم اللغة العربية، وقطع علاقة العرب بماضيهم والقرآن الكريم وسنة النبي الكريم، وتفتيت وحدتهم اللغوية، ولم تكن مزاعم تجديد اللغة العربية سوى إعادة إنتاج لما خلفته معاهد الدراسات الشرقية في أوربا (مدرسة نابولي للدراسات الشرقية . ١٧٣٧ ، ومدرسة القناصل في فيينا . ١٧٥٤ ، ومدرسة باريس للغات الشرقية الحية . ١٧٥٩ وغيرها من المدارس في المجر وروسيا وانجلترا) .

والتي تم الاستعانة فيها ببعض العرب من الشوام والمصريين، وانتجت كتاب بعنوان : " أحسن النخب في معرفة لسان العرب " تأليف محمد عياد الطنطاوي . طبع لبيبج ١٨٤٨ ، وكتاب آخر بعنوان : " الرسالة التامة في كلام العامة والمناهج في أحوال الكلام الدارج " تأليف مخائيل الصباغ . طبع في استرزابورج ١٨٨٦ .

نثر هؤلاء بذرة النبتة الخبيثة فى تربة الوطن وراح الوكلاء عنهم ممن ابتليت بهم الأمة ممن يطلق عليهم " عملاء الصفوة " ترديد تلك المزاعم، ولم يكن هؤلاء العملاء سوى بعض الصنائع الذين يدعون لهم ويرفعون من شأن علمهم ويتظاهرون في نشر سمومهم بأنهم هم المبتكرون لما ينقلونه عن سادتهم وصانعيهم، ولم يكن هؤلاء العملاء سوى أحد صنفين ، الأول يعاني كساحاً فكرياً ويرى في العمالة مكاسب تعوضه عن عاهته، والثاني يرى في العمالة استجابة لعداء موروث يصرخ في دمه، ويحاول إسكاته بنشر سموم الأعداء بين أهل وطنه .

دون أن يتوقف هؤلاء العملاء لبرهة للتساؤل : لماذا لا يطبق محرکهم ادعائهم على لغات بلادهم؛ فالفصحى والعامية موجودتان في كل اللغات الأوربية، ومع ذلك لم نشهد محاولات لإحلال العامية في مكان الفصحى؟

ولماذا لم تلقى الدعوة إلى لغة الاسبرنتو أى تجاوب من المواطن الأوربي !

وتتابعت المحاولات التي تتطوي على شبّهات.. ففي سنة ١٩١٣ كتب أحمد لطفي السيد عدة مقالات في مجلة "الموسوعات " بعنوان : "مشخصات الأمة" نادى فيها بإصلاح الحروف العربية؛ كي يقرأ القارئون اللغة قراءة صحيحة من غير أن يتعلموا النحو والصرف ، وهى محاولة لا تتطوي على أي فهم لطبيعة اللغة العربية وقواعدها وأساليبها وسياقاتها اللغوية وأدواتها التعبيرية .

وفي سنة ١٩٤٣ قدم عبد العزيز باشا فهمي في كتابه بعنوان : "الحروف اللاتينية لكتابة العربية" مشروعاً ساذجاً أدعى أنه محاولة لإصلاح الحروف العربية باستبدالها بالحروف اللاتينية كما حدث في تركيا(٣٢) تلك المؤامرة على حروف اللغة التركية التي قطعت العلاقة بين المواطن التركي وتاريخه والقرآن واقتلاع الدين بجعل الآذان وتلاوة الصلوات في المساجد باللغة التركية بعد ترجمة القرآن إلى التركية .. والتي قادها مجموعة السان سيمون الأتراك، وكانت رأس حربتهم السيدة لطيفة التي تم دسها على أتاتورك بطريقة مفضوحة؛ فملكته ووجعلته لعبتها ولعبتهم بعده أن قضت

سنوات في دراسة متقنة للمخطط في أقبية السربون، فلم يكن يُعرف عن أتاتورك سابقة اهتمام باللغة؛ فالمرأة أحد أهم وسائل تجنيد العملاء، وتطويرهم لما يُوكل إليهم من مهام والرقابة علي آدائهم؛ وهو ما يفسر زواج الكثير من العناصر "الناقلة للعدوى من أجنبيات؛ فهؤلاء النسوة مكلفات بالعمل لصالح " مخابرات بلادهن .

ففي صيف سنة ١٩٢٨ أعلن أتاتورك عن " البدعة " الجديدة بكتابة التركية بالحرف اللاتيني وشرع يطوف بأنحاء البلاد حاملاً سبورة وطباشير ليشرح طريقته الجديدة، وجلس الناس في المقاهي ومع كل منهم لوح إرتوازي يعلم بعضهم بعضا بعد أن حدد أتاتورك يوماً يصبح فيه أي متخلف عن اتقان الكتابة الجديدة عرضة لعقوبات قاسية منها الطرد من الوظيفة والتجريد من الجنسية بل والنفي من البلاد أو الاعتقال في السجون .

وفي مارس ١٩٤٥ خرج علينا سلامه موسى بكتاب بعنوان : "البلاغة العصرية واللغة العربية وبطريقة وثبات الضفدعة راح ينتقل مما زعم أنه مسلمت إلى ما توهمه نتائج دون فهم أو روية أو إدراك أنه غير مؤهل للبحث فكل مؤهلاته هو شهادة الابتدائية من إحدى المدارس التابعة لإحدى الجمعيات المسيحية، وقدرة على المجاهرة بالسوء بالدعوة إلى الإندماج في الغرب وقطع العلاقة بالشرق، والزواج من الأوربيات لتحسين النسل، ودعوة إبنه إلي ممارسة الفجور وفي ذات الإطار أدعى أن تأخرنا اللغوي هو سبب من أعظم الأسباب لتأخرنا الاجتماعي، وأطلق ما اسماه بـ " السيادة اللغوية" وأنها كانت عنصر الحسم في انتصار الإنسان الأوربي المهاجر إلى أمريكا على السكان الأصليين متخطياً السجل الإجرامي للإنسان الأوربي في القتل والإبادات الجماعية، بـ "اللغة الخرساء"، وأنها ليست لغة " جوية " أي أنها لا تنقل لنا جو الحديث وشبهها بلغة الكهان، وكرر دعوات من سبقوه .

والحقيقة أنه يمكن تفهم دوافع شخص مثل سلامة موسى يعاني حالة من عدم القدرة على التكيف مع المجتمع الذي يعيش فيه باعترافه في مقدمة كتابه بعنوان : " تربية سلامة موسى " فيقول :

إنني منعزل عن المجتمع الذي أعيش فيه لا أنساق معه في عقائده وعواطفه ورؤياه ، وعندئذ تكون هذه الترجمة التبرير لموقفي من هذا المجتمع وهو موقف الاحتجاج والمعارضة ، فأنا أكتب أسوأ حسابي مع التاريخ ."

## تورطنا في تدهور اللغة

يُضاف إلى ذلك أنّ المعاهد والجامعات التي تُخرِّج مُدرّسي اللغة العربيّة قد فشلت إلى حدّ كبيرٍ في تقديم المقرّرات الدراسيّة التي تُؤهل خريجها ليكون مُدرّساً ناجحاً ونموذجاً يُحتذى به، فكثيرٌ من المقرّرات الدراسيّة ما هو إلا اجتهاد شخصي في أحسن الأحوال إن لم يكن تدريسياً لرسالةٍ أو بحثٍ

وإن كان ذا قيمة علمية لا يمكن - تقدّم به في تاريخه العلمي، لا يصلح في كثير من الأحيان إنكارها - لأن يكون لبنة أو خطوة في إعداد هذا المعلم .

ومما تعاضم أثره في هذا الجانب فتنّة الناشئة بهذا التطور العلمي الذي أحرزه الغرب؛ ممّا حدّا بقطاع كبير إلى أن جعل لغة علم الغرب محطّ آمالهم ومُنتهى اهتمامهم راغبين في أن يُحرزوا ما أحرزوه، وأن يصلوا إلى ما وصلوا إليه .

يُعدّ مطلباً يجب أن تسعى إليه هذه الأمة، لكنّ ذلك لا يكون - إنّ تعلم لغة العلم - أيّاً كان نوعها على حساب اللغة الأم أو اللغة القومية كما يقولون .

ومن ذلك : سعي بعض المدارس والمؤسسات التعليمية في المراحل الأولى إلى أن تكون لغة التعليم الأساسي غير العربية؛ كالإنجليزية أو الفرنسية أو الألمانية، منذ استقبال الطفل لتعليمه، فلا يجد العربية ولا يُصادفها إلا في حصص اللغة العربية والتربية الإسلامية، أمّا برامج التعليم الأخرى فلغتها كلّها غير العربية؛ ممّا يُلقِي في روع الناشئ أهمية خاصة تكتسبها تلك اللغة الأخرى على حساب لغته الأم، وخاصة بعد أن صار إتقان لغة من تلك اللغات مدخلاً واسعاً لسعة العيش وتحصيل أسباب الرزق .

هذا ما نفعله بناشئتنا وصغارنا، في حين أنّ الدول التي ندفع بأبنائنا إلى تعلم لغاتها، تُحرّم وتُجرّم تدريس غير اللغة القومية على الناشئة حتى يصلوا إلى مراحل معينة من السن والتعليم لتتاح الفرصة للغة الأم لتستكنّ في نفوس أبنائها .

إذا لاحظنا أنّ العربية تُؤدّي ما تُؤدّيه غيرها من اللغات في حياة البشر بصفة عامّة، وقد رأينا كيف أنها تقوم بكلّ ذلك بتمكّن واقتدار، فإنها بالإضافة إلى ذلك تقوم في حياتنا بدورٍ خطير وفَعّال، فهي

مَدَخَلْنَا إِلَى فَهْمِ كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَمَا دَارَ حَوْلَ هَذَيْنِ الْأَصْلِيِّينَ مِنْ  
عُلُومٍ عَلَى مَدَى تَارِيخِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، ذَلِكَ التَّارِيخِ الَّذِي يُجَاوِزُ أَلْفًا وَأَرْبَعَمِائَةَ عَامٍ .

## ما تحتاجه منا لغتنا العربية

إنَّ العَرَبِيَّةَ هِيَ المَدخَلُ الطَبْعِيُّ إِلَى فَهْمِ هَذِهِ العُلُومِ فَهْمًا صَحِيحًا لَا لِبَسِّ فِيهِ وَلَا غُمُوضٍ، وَلَا زِيغٍ  
وَلَا خَطَا؛ إِذْ إِنَّهُ كَلَّمَا تَمَكَّنَ الْإِنْسَانُ مِنَ العَرَبِيَّةِ كَانَ فَهْمُهُ لِنُصُوصِهَا أَجْوَدَ وَأَسْلَمَ، وَكَلَّمَا تَدَنَّى مُسْتَوَاهُ  
وَتَمَكَّنَهُ مِنْهَا كَانَ فَهْمُهُ أَرْدَأَ وَإِلَى الخَطَأِ أَقْرَبَ، وَنَحْنُ بِحَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى الفَهْمِ الصَّحِيحِ حَتَّى نَسْتَطِيعَ

أن نحسن الاتباع الذي أمرنا به خالقنا، وأشار إلى شيء من أثره علينا في نحو قوله - تعالى - ﴿ فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴾ فحُسن الاتباع ينبج به صاحبه من الضلال والشقاء ولا يكون حُسن الاتباع إلا بحُسن الفهم ولا يكون حُسن الفهم وجودته إلا بأن يتمكن الإنسان من لغته العربية وأن يرقى مُستواه فيها، وهو أثر لو لم يكن غيره منها لكفى به دافعاً لأن نُنزل هذه اللغة المنزلة اللاتفة بها، وأن نعتز بها كما يعتز غيرنا بلغته سواء بسواء .

إنّ هذه اللغة تحتاج منا إلى صدق النية والعمل الجادّ إعداداً لبرامج تعليمها، ثم للقيام بهذه البرامج على خير وجه يحسن تقديمها إلى الناشئة وإلى كلّ من يطلبها .

ثم إنّ اللغة العربية بالنسبة لمن يقوم بالترجمة لا بُدّ له من أن يرتفع بها وأن يرقى مستواه فيها على الأقلّ إلى درجة اللغة التي ينقل منها أو إليها؛ ليحسن القيام بهذه الترجمة على الوجه الأكمل .

نريد أن نكون مع لغتنا العربية على موقف أحد رجلين تصاحباً في السفر؛ وجد أحدهما قطعة حجر تشرق تحت أشعة الشمس وتلمع، فالتقطها أحدهما، وتفحصها فظنّ أنها لا قيمة لها وألقى بها جاهلاً بحقيقتها، فالتقطها مرافقه فنظر إليها فعرف أنها حجر كريم، فإذا به يُخرج منديله ويزيل التراب عنها، ولمّا وصل إلى بلده أتى بلفائف من حريرٍ ووضعها فيها ثم عرضها على الزبائن في متجره .

بين الحين والحين تمر اللغة العربية بمخاض صعب تتولد عنه مواقف متباينة، واجتهادات متنوعة، ومطارحات جدلية، تثري العربية وتضفي عليها رونقا وجمالا، فإذ بها تخرج بعد كل جولة ثابتة الوجود، خفاقة المكانة، عالية المنزلة رغم كل ما يحاك لها، ويبقى محبوبها والحريصون عليها، الواعون لخصائصها، المدركون لحقيقة وظيفتها، المنشغلون بها الذين لا يبخلون بجهد مهما كان في سبيل نشرها والدفاع عنها، ودرء المخاطر عن حياضها .

وإن اللغة العربية في هذا العصر الذي تعد هجمته عليها أقوى الهجمات وأشدّها وطأة؛ واقعة بين

سندان الإهمال والازورار عنها، وبين مطرقة المؤامرات عليها وسوء الفهم لخصائصها وإمكاناتها في ظل هيمنة ثقافية غربية عاتية تقوم عليها جهات تدأب ليل نهار في نشر ثقافتها من خلال لغتها بجميع الوسائل والصور. من هنا كان شأن العربية أجل وأكبر من أن يترك للجهود الحكومية بمؤسساتها وهيئاتها، بل كان لابد من مشاركة مجتمعية حقيقية يقوم بها الأفراد الذين يقع على كل منهم مسؤولية بشكل ما تجاهها عبر الوسائل المتاحة .

ومن أبرز هذه الوسائل جمعيات حماية اللغة العربية التي انتشرت في الوطن العربي، والتي يأتي في مقدمتها " جمعية حماية اللغة العربية بالشارقة "، والتي آلت على نفسها أن تكون درعا واقيا وصوتا قويا في حماية العربية مما يحيط بها من مخاطر عبر مجلتها " العربية " الذي رأت أن يكون عددها الأول يحتوى على استطلاع رأي لنخبة من المثقفين والمهتمين والباحثين لما يجب أن تكون عليه الجمعية، وأهم الأهداف التي يجب أن تحققها .

## العربية قلعة الأمة

حول أهمية اللغة العربية ومكانتها والمخاطر التي تحيط بها، يقول الدكتور علي قاسم الشعبي، المستشار الإعلامي العامة بشرطة دبي، ليس بجديد أن تتعرض اللغة العربية للتهميش والتخريب وربما الاغتيال، وإن الأمر يتعلق بهجوم ضارٍ على هذه اللغة منذ أواخر القرن الثامن عشر الميلادي

وبدايات القرن التاسع عشر، كما أنه ونتيجة للتلاقح الثقافي مع الغرب في ظل هيمنتها، وهجرة بعض الأدباء والمتقنين العرب للخارج انطلقت دعاوى كثيرة منها ترجيح استخدام اللهجات المحلية المحكية على حساب العربية الفصيحة، ومنها كذلك استخدام الحرف اللاتيني بديلا عن الحرف العربي، وكل ذلك وغيره انطلاقا من فكر منظم يستهدف ضرب أهم متراس تتمرس خلفه هذه الأمة وقلعتها الركينة، وساعد على ذلك مساعدة العديد من الحكومات على التدريس باللغة الإنجليزية باعتبارها لغة العلم والحاسوب واللغة الأشهر للتخاطب .

ويوضح أنه رغم أهمية اللغة الإنجليزية لكونها اللغة الأولى على مستوى العالم حاليا ألا أنه يجب أن نتذكر أننا بدون العربية ننقطع من جذورنا تماما، وكأنني بذلك اسمع صوت أحد الشعراء من أوزبكستان يقول: إذا أطلقنا رصاصة على الماضي فسوف يطلق المستقبل علينا مدافعه، أنها حقيقة مؤكدة فإننا أن تواصلنا مع غيرنا وقطعنا صلتنا بحضارتنا صرنا هجينا لا يُعرف له أصل أو بداية .

مما عمق الهوة بين العربية والمجتمع هو هذا الشعور بالدونية والانزهاج النفسي الذي تعاني منه الأمة الإسلامية في مرحلتها الراهنة، مما أثر سلبا على مكانة العربية التي يحاول أهلها عدم التخاطب بها قدر الإمكان .

ونتمنى على جمعية حماية اللغة العربية أن يكون لها الدور الأبرز في تنشيط مجالات الاهتمام بالعربية عبر عقد الاجتماعات بصفة دورية ومكثفة في كافة وسائل الإعلام المسموعة والمرئية، كما أرى أنه من الضروري أن تتواصل الجمعية مع مختلف مؤسسات الدولة خاصة البلدية لفرض قوانين تقضي بضرورة الكتابة الصحيحة للوحات الإعلامية والتعريفية التي توضع على المحال والمنشآت، إذ من الملاحظ ولا يخفى على أحد أن هناك اعتداء صارخ على اللغة الكريمة عبرها ، الأمر الذي يسبب للعين إيذاء بليغا .

## وجوب حماية اللغة العربية

ومن جهته يؤكد الداعية الإسلامي، الشيخ الدكتور أحمد الكبيسي، أن تعلم العربية فرض عين على المسلم كالصلاة والصيام سواء بسواء، ويتأسس ذلك على كون العبد لا يحق له الصلاة بغير القرآن إلا إذا عجز عجزاً يمنعه من أن يؤدي فرض الصلاة بالعربية فعليه حينئذ أن يؤديها كما يتيسر له فالدين يسر لا عسر فيه، كما أن الإسلام كشرعة تدخل في تفاصيل حياة المسلم مقدمة إليه على طبق من العربية ومن ثم فهي المقدمة الأساسية لفهم الدين واستيعابه، وإن الإسلام كدين ليذهب هباء

سدى بغير العربية .

وإن مما يلزم التعاون مع كافة المؤسسات المعنية بشأن العربية هو ما استقيناه من خلال دراساتها وأبحاثنا أن العربية محاربة منذ قرون عدة، وتأخذ هذه الحرب أشكالاً متنوعة تستوجب منا جميعاً وقفة جادة تحتمها ظروف خاصة تمر بها اللغة العربية في هذا العصر الذي أصبحت تعاني فيه إهمالاً تتلون مظاهره وصوره بارزة في مؤسسات من المفترض أن تكون في مقدمة المدافعين عن العربية والذائدين عن حياضها مثل المؤسسات التعليمية والإعلامية والتي أضحت تمثل بشكل أو بآخر وجدان المجتمعات .

ومن هنا فإن نشد على أيدي القائمين على شأن الجمعية متمنين لهم دوام التوفيق والسداد لاسيما وإن إشكاليات اللغة متعددة ومتداخلة، منها الجهل الفاضح بخصائصها التي تجعلها في مقدمة اللغات . كما أن نوصي بأن تكون الجمعية حلقة وصل بين العلماء المختصين وبين أفراد المجتمع من خلال أبحاث ودراسات تقرب لهم ما أغلق عليهم فهمه، وتدني منهم ما بعد عليهم إدراكه .

## العربية في مواجهة العنف

ومن جانبه يشير الداعية الإسلامي الشيخ عزيز العنزي، مدير مركز الدعوة والإرشاد بدبي، أن قضية الاهتمام بالعربية بجميع جوانبها قضية تصب في أهم وأجل قضاياها وهي تتماس مباشرة مع مفردات حياتنا بدءاً من أهونها شأننا إلى أضخمها، وإن إمامة سريعة لمجمل مراحل ودورات التاريخ الإسلامي، والتأمل في ثناياه والنظر إلى فترات القوة والعزة فيه وإلى فترات الضعف والانحزام والانكسار نجد أن اللغة كان لها الدور الأبرز في مسار التاريخ الإسلامي وتقلباته . إن من أوضح مظاهر أهمية العربية هي علاقتها شديدة التماسك والحيوية بقضية التجديد ” ويضيف في الدين، فإن لم يملك القائمون على هذا الأمر اللغة امتلاكاً تاماً لسقطوا حتماً بين مطرقة الإفراط والتطرف والعنف والتشدد وسندان التفريط والتسيب والإهمال، وإن هذا الدين لا يضيع إلا بين هذين أما الوسطية العادلة إنما تتجلى واضحة في العلماء الذين نهلوا من معين الكتاب والسنة وفقه السلف

من الجيل الرباني الذي تربي في حجر النبي صلى الله عليه وسلم، وإنما تأتي لهم هذا من خلال استيعابهم التام للغة العربية وإدراك دقائقها وخصائصها التعبيرية والبلاغية .  
ويكمل ” ومن هنا تظهر ضرورة الاهتمام بالعربية بفصاحتها وطلاقتها إذ يعد ذلك خطوة جادة وقيمة في مواجهة مظاهر وثقافة العنف والتطرف التي بدأت تسود بعض أوساطنا نتيجة الفهم اللغوي والفقهي القاصر لبعض آيات القرآن الكريم وأحاديث النبي صلى الله عليه وسلم" .  
وإننا لندعو الله تعالى أن يكلل جهود جمعية حماية اللغة العربية بالنجاح وإتمام رسالتها على خير وجه، ونرجو أن تتواصل كافة الجهات المعنية سواء الثقافية منها أو التعليمية أو الدينية بهذا الشأن لتحقيق الأهداف المنشودة .

## العربية لغة الفطرة

ويرى الدكتور مصطفى أحمد عبد العليم، الأستاذ المساعد بجامعة الإمارات، برنامج اللغة العربية، أن العربية بخصائصها الفاتحة صوتيا ونحويا تعد لغة الفطرة السليمة، ويؤكد هذا بكون القرآن الذي هو آخر رسالات السماء إلى الأرض قد خص الله تعالى به العربية واصفاها به، وأن الله تعالى يصطفي من عباده من يشاء ليكون أنبياء ورسلا، وحتى بين الأنبياء والرسل فقد فضل الله تعالى بعضهم على بعض، وكذا اصطفى من الأماكن ما يشاء، وإن هذه سنة الاصطفاء تسري على اللغات كما تسري على غيرها .

ويشير إلى أن هناك العديد من البحوث والدراسات والجهود الحثيثة لمحاربة بعض خصائص العربية وسماتها بحجة التسهيل والتيسير، وفي هذا مغالطة واضحة، إذ في ذلك إعدام لروح العربية وحقيقتها، وإن الله تعالى الذي يسر القرآن للذكر بمجمل معانيه، لن ينزله بلغة يصعب استيعابها،

وصدق الله تعالى، وكذب المبطلون المعطلون .

ولكن تظهر إشكاليات عديدة بالنسبة إلى العربية لاسيما في المجالات الحديثة ليس ضعفا فيها، وإنما لأنها لم تلق الجهد الكافي والواعي، ومن أبرزها هو إدخال العربية في مجال البرمجة الآلية من خلال أجهزة الحاسوب، فما زالت الآن العربية رغم كل الجهود التي بذلت إلى أنها بعض القضايا التي تحتاج إلى إلقاء الضوء عليها، وهذا ما نتمناه من مجلة العربية التي نرجو أن تكون لسان عربيا مبينا في الدفاع عن العربية ودرء المخاطر عنها .

## دور متعاضم لمؤسسات المجتمع المدني

يقول الأستاذ عبد الفتاح صبري، عضو اتحاد الكتاب، إن دور الجمعيات في المرحلة الراهنة يمثل أساسا في مجتمع تتجه آلياته إلى الاعتماد على مؤسسات المجتمع المدني، وذلك ضمن منظومة مبتغاة تحاول ترسيخ التشارك والحرية كي تنطلق مكامن الإبداع في كافة مناحي الحياة، ونبذ القيود المفروضة على أي حراك اجتماعي أو اقتصادي أو سياسي لتتطلق كافة المؤسسات والأفراد بالمجتمع نحو آفاق أكبر من الرقي والتقدم .

ويضيف ” ولذلك أعتقد أن جمعيات النفع العام مطالبة الآن أكثر من أي وقت مضى بتفعيل دورها المهني والاجتماعي، وأن تحقق لها مكانة فاعلة في آليات تسيير وخلق مناخات جديدة لحركة الأفراد وبحركتها ومنتسبها تجاه هذا الدور المأمول، ولا بد من إعادة طرح اتحاد عام يضم هذه الجمعيات

بكافة أطباقها لخلق التناغم المطلوب ووضع أطر للحركة ومراقبة تلك الحركة وضوابطها لكي يتوفر مناخ داعم في اتجاه الآتي والقادم والمستقبل، وهذا الاتحاد سيكون داعما وخالقا لآليات ستفيد أيضا في إيجاد صيغة للتعاون، وحالما تتحقق هذا الخطوة المأمولة والتي تأخرت كثيرا يجب على هذه الجمعيات في المرحلة الآتية التنسيق والترتيب والتشاور لجهة توحيد الحركة والمفاهيم وخلق آلية عمل مشتركة تجاه خدمة المجتمع المدني والإنساني في كافة مجالات العمل الوطني الحالي، وتقديم المشورة للجمعيات الرسمية تجاه المستقبل من أجل خلق مجتمع متقدم يسوده الأمان والطمأنينة والسلام والرخاء الاقتصادي والاستقرار الاجتماعي .

ويرى أن جمعية حماية اللغة العربية عليها سواء على الصعيد المهني أو على صعيد تحقيق أهدافها كما تنص لائحته التأسيسية، وأن تترك روح بث الحركة إلى التحرك الذاتي والتخلي عن فعاليات الندوات والمؤتمرات وبث شعارات الحب للغة العربية، أعني الحب الصامت الذي لن يكفي وحده، إذ عليها في المرحلة القادمة الولوج إلى لحمة المجتمع والتحرك بإيجابية لتطبيق المرسوم السامي والقاضي باستخدام العربية فقط في جميع التعاملات الرسمية في الدوائر الحكومية كافة، وعليها كذلك الحركة لمراقبة التجاوزات التي نراها في واجهة الشارع الإماراتي، كما على الجمعية أن تدعو جميع فئات المجتمع إلى أهمية استقدام الخادمت اللاتي يتمتعن بإجادة العربية، وذلك حرصا على عربية الناشئة، كما عليها التنسيق والمتابعة مع وزارة التربية من أجل إيجاد وسيلة لحماية أطفال الحضانة من التعامل مع غير الناطقين بالعربية، إذ من الملاحظ وجود عدد من التجاوزات الخطيرة في هذا السياق، وفي الأخير فإن ميدان الحراك واسع وكبير يحتاج إلى تكاتف الجهود والتنسيق بين الجميع

في حين يرى الأستاذ/ فرج أبو زيان المدير التنفيذي لمؤسسة بن علي بن راشد للتوزيع والنشر، وصاحب الإبداعات المتميزة في أدب الأطفال، أن قضية حماية اللغة العربية من خلال جمعياتها لا بد أن تسانده الكثير من الفعاليات الأخرى التي يتجسد أبرزها في إصدار قوانين ملزمة لا سيما في وسائل الإعلام ووزارة التربية والأوقاف والشؤون الإسلامية، وذلك لما لهذه الجهات الثلاث من أهمية

قصوى تأثيرها على النشء وعموم المجتمع .

ويضيف أن مثل هذه الجمعيات لن تؤتي الأهداف المرجوة منها إلا إذا توفرت لها الإمكانيات المادية والبشرية التي تجعل نجاح الجمعية في أداء دورها عملاً لا يرجى به إلا الأجر والثواب من الله تعالى، إذ أن نشر العربية وحمايتها إنما يدخل في صميم حديث النبي صلى الله عليه وسلم ” خيركم من تعلم القرآن وعلمه “، ومن أجل ما يعلم عن القرآن هو فهم معناه ولا يمكن ذلك إلا من خلال تعلم العربية السليمة الصحيحة .

نريد أن نكون على موقف أحد هذين الرجلين تجاه لغتنا العربية: فأما الموقف الأول موقفُ :أقول الإلقاء والإهمال، فإنه كان لجهل ذلك الرجل بقيمة الحجر، وما أظنُّ أن أحدنا يرضى لنفسه أو لأولاده أن يكونوا على هذا الموقف نعد أن بان أن لغتنا العربية تُؤدَّى من الوظائف ما يُؤدِّيه غيرها من اللغات، إضافةً إلى كونها مدخلنا لفهم كتاب الله وسنة رسوله وما دار حولهما من علوم، وما كُتِبَ في ظلِّ الحضارة الإسلاميَّة في شتى فروع المعرفة، بقي أن نكونَ على موقع الرجل الثاني الذي أنزل الحجر الكريم منزلته اللاتقة به لما عرف من قيمته وحقيقته، وهو ما هدف إليه هذا البحثُ من أن نشعر بقيمة ما يمكن أن تُؤدِّيه هذه اللغة العربية في حياتنا ممَّا لا يمكن الاستغناء عنه .

التدريس باللغة العربية

وذلك بتعميم تعليم كافة المعارف والعلوم باللغة العربية، ونشرها في الجامعات، والمدارس، والابتعاد عن التفكير بأنَّ التقدّم مرتبط بتعلّم اللغات الأجنبية، لذلك يجب تطوير المناهج التعليميّة في مختلف مراحل التعليم لتدريسها باللغة العربية، والمواظبة على تعلّم القرآن الكريم للمحافظة على لغة قويّة .

الكتابة باللغة الفصحى

حيث ظهر في السنوات الأخيرة مصطلح جديد يعرف بالعربلشيّة، ويعني كتابة اللغة العربيّة بحروف إنجليزية، وقد انتشرت هذه الكتابة على مواقع التواصل الاجتماعي، ممّا ساهم في طمس اللغة العربيّة، واندثارها بالتدريج، ولكن تجب مكافحة هذه الظاهرة، والعودة للكتابة باللغة العربيّة القرآن الكريم يساعد فهم القرآن الكريم على تعلّم اللغة وكافة مصطلحاتها، ومعانيها المتنوّعة، وذلك من خلال تعلّم تفسير القرآن الكريم، وتعاليم الإسلام الصحيحة .

#### التعويد

تعويد الأذن على سماع العربيّة الفصيحة في مختلف الأماكن، خاصّةً في البيت، كالإنصات للدروس والأفلام الهادفة تعويد اللسان على النطق بها، والإصرار على النطق بها أمام الآخرين، حتّى عند سخريتهم .



## هدم اللغة العربية

كانت الشعبة الثالثة من الدعوات الهدامة تتجه إلى اللغة العربية؛ تريد أن تفرق المجتمعين عليها بمختلف الحيل والأساليب، تحت ستارٍ من الرغبة في الإصلاح، وفي مُسايرة الزمان، وقبل أن أدخل في تفاصيل المسألة، أحب أن أعرض تاريخها عرضاً سريعاً في لمحة خاطفة، لنبيين مصادر هذه الدعوة، فقد يُعِينُنَا ذلك على تصوّر مبلغ ما فيها من الصدق والإخلاص والبراءة من الهوى، بدأت هذه الدعوى في أواخر سنة ١٨٨١م حين اقترح "المقتطف" كتابة العلوم باللغة التي يتكلمها الناس في حياتهم العامة، ودعا رجال الفكر إلى بحث اقتراحه ومناقشته، ولا أراني في حاجة إلى أن أتحدث عن "المقتطف" وعن ميوله السياسية، والجهات التي كان يخدمها، فقد تكلمت عنه وعن شقيقه "المقطم" في الجزء الأول من هذا الكتاب، ثم هاجت المسألة مرة أخرى في أوائل سنة ١٩٠٢م حين أُلّف أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر من الإنجليز - وهو القاضي ولمور - كتاباً عمّا سمّاه لغة القاهرة، وضع لها فيه قواعد، واقترح اتخاذها لغة للعلم والأدب، كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية، وتنبّه الناس للكتاب حين أشاد به "المقتطف" في "باب التقريظ والانتقاد"، فحملت عليه الصحف، مشيرة إلى موضع الخطر من هذه الدعوة التي لا تقصد إلا إلى محاربة الإسلام في [1]: لغته، وفي ذلك الوقت كتب حافظ قصيدته المشهورة، التي يقول فيها، مُتحدّثاً بلسان اللغة العربية:

رَجَعْتُ لِنَفْسِي فَأَتَهَمْتُ حَصَاتِي وَنَادَيْتُ قَوْمِي فَأَحْتَسِبْتُ حَيَاتِي  
رَمُونِي بَعْفُمُ فِي الشَّبَابِ وَلَيْتَنِي عَقِمْتُ فَلَمْ أَجْزِعْ لِقَوْلِ عُدَاتِي  
وَلِدْتُ وَلَمَّا لَمْ أَجِدْ لِعِرَائِسِي رِجَالًا وَأَكْفَاءً وَأَدْتُ بَنَاتِي  
وَسِعْتُ كِتَابَ اللَّهِ لَفْظًا وَغَايَةً وَمَا ضِفْتُ عَنْ آيٍ بِهِ وَعِظَاتِ  
فَكَيْفَ أَضِيقُ الْيَوْمَ عَنْ وَصْفِ آلَةٍ وَتَسْيِيقِ أَسْمَاءٍ لِمُخْتَرَعَاتِ؟  
أَنَا الْبَحْرُ فِي أَحْشَائِهِ الدُّرُّ كَامِنٌ فَهَلْ سَاءَلُوا الْعَوَاصِ عَنْ صَدَفَاتِي؟  
فَيَا وَيْحَكُمْ أَبْلَى وَتَبْلَى مَحَاسِنِي وَمِنْكُمْ وَإِنْ عَزَّ الدَّوَاءُ أَسَاتِي  
فَلَا تَكْلُونِي لِلزَّمَانِ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَحِينَ وَقَاتِي  
أَرَى لِرِجَالِ الْعَرَبِ عِزًّا وَمَنْعَةً وَكَمْ عَزَّ أَقْوَامٌ بَعِزُّ لُغَاتِ  
أَتَوْا أَهْلَهُمْ بِالْمُعْجَزَاتِ تَقَنُّنًا فَيَا لَيْتَنِي تَأْتُونَ بِالْكَلِمَاتِ

أُطْرِبُكُمْ مِنْ جَانِبِ الْعَرَبِ نَاعِبٌ يُنَادِي بِوَادِي فِي رَبِيعِ حَيَاتِي؟  
وَلَوْ تَرَجُرُونَ الطَّيْرَ يَوْمًا عَرَفْتُمْ بِمَا تَحْتَهُ مِنْ عَثْرَةٍ وَشَنَاتِ  
سَقَى اللَّهُ فِي بَطْنِ الْجَزِيرَةِ أَعْظَمًا يَعِزُّ عَلَيْهَا أَنْ تَلِينَ قَنَاتِي  
حَفِظَنْ وَدَادِي فِي الْبَلَى وَحَفِظْتُهُ لَهَنَّ بِقَلْبٍ دَائِمِ الْحَسْرَاتِ  
وَفَاخَرْتُ أَهْلَ الْعَرَبِ وَالشَّرْقِ مُطْرِقُ حَيَاءٍ بِنَتْلِكَ الْأَعْظَمِ النَّخِرَاتِ  
أَرَى كُلَّ يَوْمٍ بِالْجَرَائِدِ مَرْلَقًا مِنَ الْقَبْرِ يُدْنِينِي بِغَيْرِ أَنَاةٍ  
وَأَسْمَعُ لِلْكَتَّابِ فِي مِصْرَ ضَجَّةً فَأَعْلَمُ أَنَّ الصَّائِحِينَ نُعَاتِي

واثرت المسألة من جديد، حين دعا إنجليزي آخر، كان مهندساً للري في مصر - وهو السير وليم ولكوكس - سنة ١٩٢٦ إلى هجر اللغة العربية، وخطا بهذا الاقتراح خطوة عملية، فترجم أجزاء من الإنجيل إلى ما سماه "اللغة المصرية"، ونوّه سلامة موسى بالسير ولكوكس وأبّده، فثارت لذلك تائفة الناس من جديد، وعادوا لمهاجمة الفكرة، والتتديد بما يكمن وراءها من الدوافع السياسية، ولكن الدعوة استطاعت أن تجتذب نفراً من دعاة الجديد في هذه المرة، فاتخذوا القومية والشعبية ستاراً لدعوتهم، حين كان لمثل هذه الكلمات رواج، وكان لها بريق خداع يعشي الأبصار، وحين كان الناس مفتونين ، وحين كانوا يتحدثون [2] بكل ما يحمل هذا العنوان في أعقاب ثورة شعبية تمخضت عن "الفرعونية بما صنع الكماليون من استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية، وترجمة القرآن للغة التركية، وإلزام الناس بالتعبد به، وتحريم تدريس العربية في غير معاهد دينية محدودة، وضعت تحت الرقابة الشديدة، وقد مضوا من بعد في مطاردة الكلمات العربية الأصل ينفونها من اللغة التركية كلمة بعد كلمة.

، ثم انتقلت [3] ثم بدا أن الدعوة آخذة في الانتشار، حين اتخذت اللهجة السوقية في المسرح الهزلي إلى المسرح الجدي حين تجرأت عليه وقتذاك فرقة تمثيلية تتخذ اسماً فرعونياً، وهي "فرقة رمسيس" فوجدت مسرحياتها إقبالاً ولقيت رواجاً عند الناس، وظهرت الخيالة (السينما) من بعد فاتخذت هذه ، ثم ظهرت هذه اللهجة السوقية التي [4] اللهجة، ولم يعد للعربية الفصحى وجود في هذا الميدان

تسمى بالعامية في الأدب المكتوب، فاستعملها كثير من كتاب القصة في الحوار، ولا يزال دعائها  
يمكنون لها في هذا الميدان، ويجدون في ذلك جاهدين.

ولم يكن ذلك هو كل ما كسبته الدعوة الجديدة التي روجها الإنجليز وعملاؤهم كما رأينا، ولكن  
أعجب ما ظهر من ذلك في هذه الفترة وأغريبه، مما لا يخطر على البال، هو أن الدعوة قد  
استطاعت أن تتسلل متلصصة إلى الحصن الذي قام لحماية اللغة العربية الفصيحة، والمسمى  
"بمجمع اللغة العربية" فظهرت في مجلته الناطقة باسمه سلسلة من المقالات عن "اللهجة العربية  
، وإنَّ ممَّا يدعو إلى [5]العامية"، كتبها عضو من أعضاء هذا المجمع اسمه عيسى إسكندر المعلوف  
العجب حقاً أن يختار المجمع لعضويته رجلاً معروفاً بعدائه الصريح للعربية، وهو عداء عريق ورثه  
عن أبيه الذي أعلنه وجهر به حين سجّله في مقال له نشرته الهلال سنة ١٩٠٢، دافع فيه عن  
، [6]اللهجات السوقية، وقال إنه يشتغل بضبط أحوالها، وتقيد شواردها لاستخدامها في كتابة العلوم  
وقد أكد هذا المقال أن اختلاف لغة الحديث عن لغة الكتابة هو من أهم أسباب تخلفنا الثقافي، وزعم  
أنَّ من الممكن اتخاذ أي لهجة عامية لغة للكتابة، كالمصرية أو الشامية، وأنها ستكون أسهل على  
، كما أنه زعم أن تعلق [7]سائر المتكلمين بالعربية - على اختلاف لهجاتهم - من العربية الفصيحة  
المسلمين باللغة الفصيحة لا مبرر له، لأن هناك مسلمين كثيرين لا يتحدثون بالعربية ولا يكتبون بها،  
ولأن اللغة التي يتكلمها المسلمون هي غير العربية الفصيحة على كل حال، وقال إن كل ما يطالب  
به هو وضع قواعد هذه اللغة التي يتكلمون بها فعلاً وواقعاً، وختم المقال بقوله  
وما أحرى أهل بلادنا أن ينشطوا من عقالهم طالبين التحرر من رق لغة صعبة المراس، قد استنزفت  
أوقاتهم، وقوى عقولهم الثمينة، وهي مع ذلك لا توليهم نفعاً، بل أصبحت ثقلاً يؤخرهم عن الجري في  
مضمار التمدن، وحاجراً يصددهم عن النجاح... ولي أمل بأن أرى الجرائد العربية وقد غيرت لغتها،  
وبالأخص جريدة الهلال الغراء، التي هي في مقدمتها، وهذا أعظم خطوة نحو النجاح، وهو  
"غاية أمني ومنتهى رجائي

هل تعرف عداء للعربية التي لم ينشأ هذا المجمع إلا لحمايتها أعرق من هذا العداء الصريح في الولد

؟! [8] وأبيه على السواء؟ فلأي شيء اختير هذا العضو وأمثاله من المعروفين بالكيء للعربية وللعرب

وليس هذا هو كل ما يدعو للعجب من أمر هذا المجمع، فقد تقدّم عضو من أبرز أعضائه، وهو عبدالعزيز فهمي - ثالث الثلاثة الذين بني عليهم الوفد المصري - في السنة ١٩٤٣ باقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وشغل المجمع ببحث اقتراحه عدة جلسات، امتدت خلال ثلاث سنوات، ونشر في الصحف، وأرسل إلى الهيئات العلمية المختلفة، وخصّصت الحكومة جائزة مقدارها ألف [9] جنيه لأحسن اقتراح في تيسير الكتابة العربية.

أليس يدعو ذلك إلى أن نتساءل: هل أنشئ هذا المجمع لينظم جهود حماة العربية، أو أنشئ ليكسب الهدم والهدامين صفة شرعية، وليضع على بيت حفار القبور لوحة نحاسية كتب عليها بخط عريض:، وعلى وكر القاتل السفاح اسم "جراح"؟! [10] "طبيب

أليس يرضى الاستعمار عن مثل اقتراح المعلوف، واقتراح عبدالعزيز فهمي؟ أليس يرضى عنه العضو الإنجليزي الموقر هـ. ا. ر. جب، الذي يقرر في كتابه "إلى أين يتّجه الإسلام؟" عند كلامه عن الوحدة الإسلامية، أنّ من أهم مظاهرها الحروف العربية التي تستعمل في سائر العالم الإسلامي، واللغة العربية التي هي لغته الثقافية الوحيدة، والاشتراك في كثير من الكلمات، أليس يرضى عنه الاستعمار الفرنسي الذي حارب العربية [11] والاصطلاحية العربية الأصل الفصيحة في شمال إفريقيا أعنف الحرب، وضيق عليها أشدّ التضيق، ووضع مستشرقوه مختلف أليس يرضى عنه [12] الكتب في دراسة اللهجات البربرية وقواعدها لإحلالها محل العربية الفصيحة؟ المستشرق الألماني كامفماير الذي يقرر في شماتة أن تركيا لم تعد بلدًا إسلاميًا، فالدين لا يدرس في مدارسها، وليس مسموحًا بتدريس اللغتين العربية والفارسية في المدارس، ثم يقول (إن قراءة القرآن العربي وكتب الشريعة الإسلامية قد أصبحت الآن مستحيلة بعد استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية)؟!

وبعد فهذه الدَّعوة هي أخطر الشعب الثلاث التي عرضناها في هذا الفصل إن الدعوات التي تستهدف هدم الدين أو الأخلاق، قد تضل جيلاً من الشباب؛ ولكن الأمل في إنقاذ الجيل القادم يظل كبيراً ما دام القرآن حياً مقروءاً، وما دام الناس يتذوّقون حلاوة أسلوبه وجمال عبارته، أمّا هذه الدعوة الخطيرة، فهي ترمي إلى قتل القرآن نفسه - وهيهات - والحكم عليه بأن يُصنَح أثرًا ميتًا؛ كأساطير الأولين التي أصبحت حشو لفائف البردي، أو بأن يصبح أسلوبه عتيقًا باليًا لتحويل أذواق الأجيال الناشئة عنه، وتشتتتهم على تذوق ألوان أخرى من الأساليب المستجلبة من الغرب، وبينما نجح اليهود في إحياء لغتهم العبرية الميتة، واتخاذها لغة للأدب والحياة، كان بعض المفتونين من العرب ينادون - ولا يزالون - بأن اللغة العربية الفصيحة لغة ميتة، وينشرون في ذلك المقالات الطوال، المكتوبة "بالعربية الفصيحة" التي يزعمون موتها، والتي يقرؤها أقل الناس حظًا من الثقافة في الصحف فلا يغيب عنه منها شيء؛ بل إنا لنرى الأميين في الصباح وفي المساء مجتمعين حول رجل منهم لا تتجاوز ثقافته الإلمام بالقراءة، يطالع لهم الصحف، وهي غير مضبوطة بعلامات الشكل، وهم من حوله يستمعون فيفهمون.

يزعمون أنّ قواعدنا صعبة معقدة، وفي اللغات الأوربية الحية ما هو أشد منها صعوبة وتعقيدًا كالألمانية، ويقولون إنّ الشاذّ فيها من غير القياسي كثير، والشذوذ في صيغ الأفعال وفي صيغ الجمع والتأنيث وفي المصادر يملأ اللغات الأوربية كلها، والشواهد عليه لا تحصى، وقالوا إن الكتابة فيها غير ميسرة، مع أنّ مطابقة الصوت المسموع للصورة المقروءة هي في العربية أوضح منها في الإنجليزية وفي الفرنسية، اللتين يتقنهما معظم المتذمرين، وصانعي الفتن من الهدامين، فالفرنسي يسقط من النطق أربعة حروف من أواخر الكلمات في كثير من الأحيان، والإنجليزي يفعل (through) ، وفي (right) في (gh) ، وحرفي (Honour) في (O) و (H) ذلك في مثل حرفي ، وهو بعد ذلك يكتب الصوت الواحد في ست صور أحيانًا، مثل الياء التي تصور الكسرة الطويلة ( في مثل (كبير))، إن هذا الصوت يكتب في الإنجليزية على ست صور متعددة، لا يُميّز إحداها عن

:الأخرى منطق أو قواعد، وهي

؛ بينما هو لا يكتب في العربية إلا ياء، وحرف (ك) لا يكتب في (y-e, e-e, ie ,ei ,ea, ee )  
، وحرف (ف) ( ch, q, ck, k , c ) العربية إلا كافاً، وهو يكتب في الإنجليزية على صور عدة هي  
، وقس على ذلك ما لا سبيل ( ph, f, gh ) لا يكتب في العربية إلا فاء، وهو يكتب في الإنجليزية  
إلى إحصائه من الأمثلة العديدة في مختلف الأصوات، ثم إن لكل صوت في العربية حرفاً واحداً  
يصوره، وبعض الأصوات اللغوية لا يصورها إلا حرفان في الإنجليزية مثل حرف (ش) العربي، الذي  
، وميزة ثالثة للكتابة العربية، هي أن ( th ) ، وحرف (ذ) الذي يقابله حرفا ( sh ) يقابله في الإنجليزية  
ينطق ( c ) الحرف لا يقرأ إلا على صورة صوتية واحدة، وليس كذلك الحرف الإنجليزي، فحرف  
ينطق ( g ) ينطق (ذ) حيناً، وينطق (ث) حيناً آخر، و ( th ) (س) حيناً، وينطق (ك) حيناً آخر، و  
جيماً قاهرية تميل نحو الكاف، وينطق جيماً معطشة حيناً آخر.

أيقال بعد ذلك كله إنَّ العربيَّة معقَّدة نحواً أو كتابة، والذين يشكون من صعوبتها، أو ينتشكرونها،  
يُتقنون ما هو أكثر منها تعقيداً ولا يُخطئون فيه؟ بل إنَّ مِنْهُمْ مَنْ يُتَّقِنُ لُغَتَيْنِ أو ثلاث لغات أجنبيَّة  
مُعقَّدة في بعض الأحيان، يقيمونها ويخجلون أن يُخطئوا فيها، حين لا يُقيمون لغتهم ولا يخجلون أن  
يخطئوا فيها، بل ربما فاخروا به وقالوا ساخرين (نحن لا نتكلم لغة سيبويه)، ولعل كثيراً منهم لا  
يعلمون أن (سيبويه) كان فارسي الأصل

ويقولون إنَّ اللغات الأوربية قد تطورت، فيجب أن تتطور لغتنا كما تطورت لغاتهم، وهناك فرق بين  
"التطور" و"التطوير" تتطور اللغة بأن تفرض عليها قوانين قاهرة هذا التطور، أما التطوير فهو سعي  
مفتعل إلى التطور، هو إرادة إحداث هذا التطور دون أن تكون له مبررات تستدعيه، والتطور لا  
يسعى إليه ولا يصطنع، ولكنه يفرض نفسه فلا نجد بدأ من الخضوع له، وأي نعمة وأي مزية في  
تطور اللغات الأوربية حتى نسعى إلى افتعال نظيره في لغتنا؟ إن هذا التطور كان نكبة على

أصحابه، قطعهم أمماً بعد أن كانوا أمة واحدة، فما زالوا في خلاف وحروب منذ ذلك الوقت، ثم إنه لم يحكم على تراثهم القديم المشترك وحده بالموت، بل هو لا يزال يقضي بين الحين والحين على التراث القومي لكل شعب من هذه الشعوب بالموت، حتى ما يستطيع الإنجليزي اليوم من عامة الشعب أن يفهم لغة (شكسبير) الذي مات في القرن السابع عشر، بينما لا يستطيع الإنجليزي المتقف أن يقرأ ما قبل شكسبير، مثل تشوسر، ولا يقدر عليه إلا قلة من المتخصصين، ومثل ذلك الفرنسية والإيطالية وسائر اللغات الأوربية الحديثة، أمّا نحن العرب على اختلاف أقدارنا من الثقافة، فنقرأ القرآن ونفهمه إلا قليلاً مما ترجع صعوبته إلى دِقَّة المعاني في أغلب الأحيان، ونقرأ رسائل الجاحظ، وأغاني الأصفهاني، فلا نكاد نحس فارقاً بين أسلوبها وبين أسلوب بعض المعاصرين، فلماذا نَسْعَى إلى أن نُفْقِد أنفسنا هذه المزايا التي لم تَفْرُض علينا فقْدَها ضرورةً من الضرورات؟ لماذا نحسد أوروبا التي ابتليت بذلك على مصابها، ونصنع صنيع اليهود الذين قالوا لنبيهم حين مروا بقوم من الكفار عاكفين على أصنام لهم يعبدونها: {اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ} [الأعراف: ١٣٨]؟ وبعد، فلنعد إلى عرض هذه الدعوات الهدامة التي تستهدف قتل العربية الفصيحة في شيء من التفصيل.

نستطيع أن نحصر هذه الدعوات في شعب ثلاث: تتناول أولاها اللغة، فيطالب بعضها بإصلاح قواعدها، وبطالِب بعضها الآخر بالتحول عنها إلى العامية، وتتناول ثانيها الكتابة، فيدعو بعضها إلى إصلاح قواعدها، ويدعو بعضها الآخر للتحول عنها إلى الحروف اللاتينية، وتتناول الشعب الثالثة الأدب، فيدعو بعضها إلى العناية بالأدب الحديثة، وما يتصل منها بالقومية خاصة، ويدعو بعضها الآخر إلى العناية بما يُسمونه "الأدب الشعبي" ويَقْصِدُون به كُلَّ ما هو مُتداول بِعِزِّ العَرَبِيَّة الفصيحة، ممَّا يختلف في البلد الواحد باختلاف القرى ويتعدد البيئات، وسنتناول فيما يلي هذه الشعب الثلاث واحدة بعد الأخرى.

أمَّا ما يتناول اللغة من هذه الدعوات، فقد أثاره "المقتطف" أولاً - كما بينا - سنة ١٨٨١ م، ثم أثاره القاضي الإنجليزي ولمور سنة ١٩٠٢، ثم أثاره المهندس الإنجليزي وليم ولكوكس سنة ١٩٢٦، وأثاره

بعض الكتاب، وبعض الصحف والمجلات في خلال ذلك ومن بعد ذلك، ولا يزال يثور حتّى الآن بين حين وحين، فيهيح بعد سكون، ثم يعود إلى الكمون، كما تتحصن الجرائيم داخل أغلفتها وأكياسها التي تحيط نفسها بها حين تأنس من قوى الجسم الدفاعية صلابة وعنادًا، منتظرة سنوح [\[13\]](#) الفرصة لهجوم جديد في نوبة تعب أو إجهاد أو اضطراب.

والَّذِي يَعْرضُ ما كَتَبَهُ الكِتَابُ في ذلكَ يحسُّ أنّهُ هُنَاكَ هَدَفًا واحِدًا يَسعى إليه أصحابه من كُلِّ وجه وبكُلِّ وسيلة، وهو محاربة الفصحى والتخلُّص منها، فهم تارة يدعون إلى العاميّة دعوة صريحة، وهم ، وتارة يدعون إلى فتح باب التطور في [\[14\]](#) تارة أخرى يدعون إلى التوسط بين الفصحى والعامية ، وتارة [\[15\]](#) اللغة، والاعتراف بحقّ الكتاب في تغييرها كيفما كان هذا التغيير، وإلى أي مذهب ذهب ، فإذا لم ينجحوا في شيء [\[16\]](#) يدعون إلى إسقاط أبواب معينة من النحو، أو تعديل بعض قواعده من ذلك اكتفوا بالدعوة إلى دراسة اللهجات العامية، وحصر مفرداتها وأساليبها ووضع القواعد والمعاجم لضبطها وإحصائها، يدعون إلى ذلك باسم العلم، واتباعًا للمناهج الأوربية في البحوث اللغوية الحديثة، فإذا سألت هؤلاء عن هدفهم من هذه الدراسات، قالوا: الأوروبيون يفعلون ذلك، فإذا قلت: ما النفع الذي نرتجيه من وراء هذه الدراسة؟ قالوا: إنها دراسة العلم للعلم، إنها لدّة المعرفة المجرّدة من كل غرض، هذا ما يقوله الخبثاء الذين يخفون أهدافهم الحقيقية، والمغفلون الذين لا يعرفون ماذا يصنعون، أمّا من أوتي منهم نصيبًا أوفر من الجرأة وصلابة الوجه فإنه يقول: إننا ندرس اللهجات لأنّ فيها أدبًا يستحق الدراسة، ولست أدري في أي قسم من هذين القسمين أضع طه حسين، الذي يُبرّر إنشاء معمل للأصوات في كلية الآداب بأن الحاجة إليه شديدة جدًّا في تعليم اللغات الأجنبية على اختلافها، وبأن إنشاءه ضرورة من الضرورات، إذا أردنا درس اللهجات العربية ، على أن حجج أعداء اللغة العربية في كل حال لا تتجاوز الكلام عن صعوبة [\[17\]](#) قديمها وحديثها تعلم اللغة العربية من ناحية، والقول بعجزها عن تأدية أغراضها الأدبية أو العلمية من ناحية أخرى، وربما أضيف إلى هذين السببين سبب ثالث، أكثر دعة الفرعونية من الكلام عنه في صدر هذه تبعت ( - [\[18\]](#) الفترة التي نورخها، وهو تمصير اللغة؛ فاللغة الفصحى - على حسب تعبير أحدهم

وطنيتنا المصرية وتجعلها شائعة في القومية العربية، فالمتعمق في اللغة الفصحى يشرب روح (العرب، ويعجب بأبطال بغداد، بدلاً من أن يشرب الروح المصرية، ويدرس تاريخ مصر

وقد ظل كثير من أعداء العربية هؤلاء - والإنجليز منهم خاصة - يحلمون بتأييد أصحاب السلطان ، وكانوا يجيبون [19] أو بتأييد الصحف، ويرون أن ذلك هو أقرب الطرق لتنفيذ مؤامرتهم الهدامة على اعتراض المعارضين بضياح التراث القديم بالنقل من قيمة هذا التراث تارة، وبإمكان ترجمة الصالح منه إلى العامية الجديدة تارة أخرى، بينما يردون على اعتراض المسلمين بأن علماء الدين مكلفون بدرس كتبه وتفسيرها (وهذا هو الجزء الأكبر من عملهم، إن لم يكن كله، وللمسلمين أسوة بالنصارى من اللاتين والأروام، فإن اللاتين يقرؤون إنجيلهم باللغة اللاتينية، والأروام باليونانية، أو بالمسلمين من الفرس والأتراك فإنهم يقرؤون القرآن بالعربية، وأما كتب الفقه فقد صار العدول عنها إلى النظام، ولا مانع من كتابة النظام بلغة العامة ليفهمه الخاصة والعامة)؛ وربما زعموا أن دراسة القرآن ونحوه وصرفه وأسلوبه هي دراسة عالية لطبقة خاصة، وأن الأدب العربي القديم من شأن خاصة المتأدبين لا عامتهم، وهذه الخاصة تستطيع أن تدرسه كما يدرس طلاب الأدب في الجامعات ، وحاول بعض أعداء العربية أن يدعموا مزاعمهم على قرائهم [20] الراقية أدبي اليونان واللاتين :[21] بالأسماء الرنانة، وباسم الوطنية والشعبية، مثل ما فعل سلامة موسى حين قال والتأفف من اللغة الفصحى التي نكتب بها ليس حديثاً، إذ يرجع إلى ما قبل ثلاثين سنة، حين نعى " قاسم أمين على اللغة الفصحى صعوبتها، وقال كلمته المشهورة "إن الأوروبي يقرأ لكي يفهم، أما نحن فنفهم لكي نقرأ"؛ أو ما معناه ذلك وقد اقترح أن يلغى الإعراب، فنسكن أواخر الكلمات كما يفعل الأتراك، وقام على أثره منشئ الوطنية الحديثة أحمد لطفي السيد، فأشار باستعمال العامية، أي لغة العامة، ولكن هؤلاء العامة الذين انتصر للغتهم كانوا من سوء القدر لأنفسهم، بحيث تألبوا عليه، وجازوه جزاء لا يأتي إلا من العامة الذين لا يدرون مصالحتهم، وفي العام الماضي حدثت في سوريا مثل هذه الحركة، فألف فاضل رسالتين دعا فيهما إلى اصطناع العامية السورية بدلاً من اللغة الفصحى، واستند في دعوته إلى أن اللغة العامية أوفى تعبيراً وأدق معاني، وأحلى ألفاظاً من اللغة

الفصحى، وأنها لذلك يجب إثارتها على اللغة الفصحى، وقد هبت الصحف السورية والفلسطينية حتى العراقية، تقبح رأيه وتنسبه إلى ضعف الحمية الوطنية مع أن المنطق أحرى أن ينسبه إلى قوة هذه الحمية، التي غلبته حتى أخرجته من شيوعية القومية العربية، حتى حصرته في حدود الوطنية السورية.

وقد أبطل المدافعون عن العربية كل مزاعم خصومها فأبرز خليل اليازجي في رده على اقتراح المقتطف سنة ١٨٨١ نقطتين: أولاهما هي أن اتخاذ العامية لغة للكتابة (فيه هدمُ بناية التصانيف العربية بأسرها، وإضاعة كثير من أتعاب المتقدمين، ثم تكلف مثلها في المستقبل)، وأما النقطة الأخرى فهي أن عامة الناس وجهالهم يفهمون العربية الفصيحة وينذوقونها، على غير ما يدعيه خصوم العربية، (وكفانا من أمثلة ذلك ما يراه كل منا ويسمع به من ليالي تحيا حتى مطلع الفجر في قراءة الحكايات العربية، من نحو قصص عنتر، وكتاب ألف ليلة وليلة، وبعض الروايات المترجمة عن الإفرنجية، وكلها فصيحة العبارة، بمعنى أنها ليست من لغة العامة في شيء، إلا ما هو من سقط الكتاب في بعضها، ومع ذلك فهي مفهومة من سامعيها، ولو كانوا من أجهل العامة، يتهافتون على سماعها ويحفظونها ويتناقلون وقائعها على ما هو مشهور، وذلك أن لغة العامة لا تباين الفصحى في غالب الأمر إلا من جهة الإعراب، وهو لا يقف في طريق المفهوم، وما لا يفهمونه من الغريب أو مما هو غريب بالنسبة إليهم، فلأكثره مرادفات من لسانهم من نفس الفصحى، وإذا اضطر الكاتب أحياناً إلى إدراج شيء من ذلك الغريب في كلامه يمكن أن يبين بالقرينة أو بتفسيره عطفاً أو [22](اعتراضاً، وهو على كل حال قليل

وأبرز "الهلال" في رده على أحد قرائه سنة ١٩٠٢ النقطة التالية

- ١- أن المسلمين لا يستغنون عن الفصحى؛ لمطالعة القرآن والحديث وسائر كتب الدين
- ٢- أن اللغة العربية ليست غريبة على أفهام العامة، إلا إذا أريد التعرُّر واستخدام الألفاظ الغريبة، أما

لغة الإنشاء العصرية فهي شائعة في الصحف والمجلات، يفهمها الخاص والعام  
٣- أنه لا يجوز قياس العربية على اللاتينية؛ لأن الفرق بين اللاتينية وفروعها أبعد كثيراً من الفرق  
بين العربية الفصحى وفروعها العامية؛ فالعامي الإنجليزي والفرنسي مثلاً ينظر إلى اللاتينية نظره  
إلى لغة غريبة، أما العامي العربي فإنه يفهم اللغة العربية الفصحى، وإذا فاتته فهم بعض الألفاظ فإن  
[23]المعنى الإجمالي يندر أن يفوته

٤- أن الزعم بأن اللغة العربية بدع في اللغات بامتياز اللغة المكتوبة فيها عن اللغة المحكية زعم  
باطل، فالإنجليز يكتبون العلم بلغة لا يفهمها عامتهم، يسمونها لغة علمية، فالعامي من الفرنسيين لا  
يفهم أبحاث رينان في فلسفة التاريخ، والعامي الإنجليزي لا يفهم ما كتبه سبنسر في فلسفة العمران،  
والعامي من الألمان لا يفهم ما كتبه شوبنهاور في فلسفة الوجود

٥- أنّ الذاهبين إلى أن تتخذ كلُّ أمةٍ عربيّةٍ لهجتها العاميّة هم القائلون بانحلال العالم العربي  
وتشتيت شمل الناطقين بالعربية، فإن (أم أوروبا لم يهملوا اللغة اللاتينية ويستبدلوها إلا بعد أن  
أصبحت كل أمة منهم دولة مستقلة يهملها الانفصال عن جيرانها أكثر مما يهملها الانضمام إليهم، لما  
يقتضيه طلب الاستقلال من المنافسة لمسابقيه، ونحن نتعهّد للمستتر ولمور أنّ الأمم العربية حالما  
تصير دولاً مستقلة، ويصير كل منها في غنى عن الأمم الأخرى لا تستنكف من حصر اللغة  
الفصحى بالكتب الدينية!! أمّا الآن فقد كفانا من المصائب ما نتحمّله من إهمال الحكومة المصرية  
للغة العربية في مدارسها، وإغفال هذه اللغة في أشهر مدارس سوريا الكبرى، ويكفي للشرق ما يعنّوه  
(!! من أسباب الشقاق، حتى لم يبق جامعة غير هذه اللغة؛ فبالله إلا أبقيتم عليها  
ومع ذلك كلّ، فالواقع الملموس يُكذّب كلَّ دعاوى الهدامين، والتاريخ أصدق من كل ما يكتبون، فقد  
استطاعت العربية البدوية أن تساير الحضارة في بغداد، ولم تنهزم أمام الفارسية أو اليونانية أو  
التركية، واستطاعت أن تُسايرها في الأندلس بعد أن فرّضت نفسها على البيئتين الجديدة، واستطاعت  
أن تُساير ألواناً من الحضارات في خلال ثلاثة عشر قرناً أو أكثر في بيئات متباينة أشد التباين،  
وصمدت أمام الغارات المدمرة، وخلال الاحتلال الأجنبي الطويل، ثمّ إنّ قواعد النحو التي يزعمون

أنها معقّدة قد استطاعت أن تعيش أكثر من ألف سنة، أنتج الناس خلالها في مختلف الأمصار العربية وغير العربية ثروة من الكتب الصحيحة العربية لا تُحصى، وهذه القرون العُشرون أُصدّق شهادة لصلاحية النحو من كل ما يزعمون، ويؤيد هذه الشهادة ويقويها أن الناس كانوا منذ قرن واحد أو أكثر قليلاً لا يكادون يقيمون العربية، ولا يقدر على كتابة مقال سليم اللغة إلا نفر قليل منهم، وقد استطاعوا رغم ما لقيت العربية في أوطانها من حرب الاحتلال الجائر خلال فترة طويلة أن يُجيدوها فهماً وكتابة في هذه الفترة القصيرة، وهم لم يجيدوها بتبسيط النحو ولا بتبسيط قواعد الكتابة، ولكنهم أجادوها بحفظ النحو، وبحفظ قواعد الكتابة

ومن المحقق أنّ الجيل السابق الذي نشأ على توقيير قواعد النحو وإتقانها خير من هذا الجيل الذي لا يزال يتقلّب بين مشاريع وتجارب للتبسيط والتيسير، تحتاج إلى ألف عام لكي تُثبّت أنّها لا تقل عن القواعد التي يقترح الاستغناء عنها، فضلاً عن أن تُفضّلها، وترجح عليها، ثم إنّ مُزاحمة العاميّة للعربية ليست شيئاً جديداً، فقد كانت العربية الفصحى دائماً لغة أدبية، وكان العرب في جاهليّتهم لا يتحدّثونها في أسماهم، ولا في معاملاتهم، ولكنها كانت وفقاً على الشّعْر الرفيع الذي يقدُّ به أصحابه على الملوك والأشراف، أو يرحلون به إلى المواسم والأسواق، وكان لهم إلى جانبه أدبٌ محليّ يتملّ في أرجازهم، وفيما ينشدونه في أسماهم، ممّا أهملته كتب الأدب لتفاهة ما ينطوي عليه من المعاني ، على أنه إن أعوزتنا الأدلة القاطعة على [24] والأغراض، ولِضيقِ مجاله وقلة عدد المتذوّقين له وجود لهجة سوقية إلى جانب اللغة الفصيحة الأدبية في الجاهلية، فليست نُعوزنا الأدلة على امتياز لغة الأدب من لهجات الأمصار التي كان يستخدمها الناس في حاجاتهم اليومية منذ القرن الأول الهجري، وهنا يكذب التاريخ مرة أخرى مزاعم الذين يدّعون أن لا حياة للعربية إلى جانب اللهجات السوقية التي يسمونها في هذه الأيام بالعامية

أما الشعبة الثانية التي تدعو إلى تيسير الخط العربي فقد ظهرت مع مطلع القرن العشرين، ورأيناها الذي اقترح فيه ( The spoken Arabic of Egypt ) في كتاب القاضي ولمور عن اللغة المصرية ولقي [25] إلى جانب الأخذ بالعامية كتابة هذه العامية بالحروف اللاتينية، وقد مرّت الإشارة إليه الاقتراح إعرافاً، وهاجم الناس صاحبه هجوماً شديداً، كما هاجموا من قبل اقتراحاً سابقاً مُزدوجاً (يتناول اللغة والكتابة للظفي السيد، الذي يُسمّيه سلامة موسى (منشئ الوطنية المصرية الحديثة

وسكتت الفتنة، حتى جاء مصطفى كمال فحملَ الناسَ في تركيا على ما حملهم عليه من الأضاليل، فتجددَ كلامُ [26] وكان في جملة ما سامهم من الأباطيل استبدال الحروف اللاتينية بالحروف العربية النَّاسَ في إصلاح الخطِّ وخاضتِ الصُّحُفُ فيه، وكان أعجب ما ظهر في ذلك المشروع الذي تقدم به شيخٌ من شيوخ مَجْمَعِ اللغة العربية في مختتم هذه الفترة التي نورخها، واقترح فيه اتخاذ الحروف [27] اللاتينية للكتابة العربية.

سألت مجلة "الهلال" في سنة ١٩٣٢ ثلاثة من المشتغلين بالدراسات العربية "هل ينبغي تغيير وفد على مصر في الشهر الماضي العلامة": [28] الحروف العربية؟" وقدّم المحرّرُ لإجابتهم بقوله اللغوي الأب أنستاس الكرمل، فأتاحت الفرصة لأحد محري الهلال الاجتماع به، فدار الحديث حول شؤون كثيرة تتعلق باللغة العربية، وكان أهم ما تناوله الحديث مسألة إصلاح الحروف العربية حتى تسهل القراءة بها، فأطلعنا جنابه على طريقة ابتكرها لإصلاح هذه الحروف، فأحببنا أن نطلع القراءَ عليها، وطلبنا أن يوافينا برأيه في هذا الموضوع، كما طلبنا إلى عالَمين جليلين أن يَقُولَا كَلِمَتَهُمَا في هذا الموضوع أيضاً، وهما الأستاذ محمد فريد وجدي، والأستاذ محمد مسعود، وسيروى "القارئ في هذه الردود الثلاثة آراء مختلفة، له أن يجذب منها ما يشاء

أمّا أنستاس الكرمل فهو يبدأ إجابته بأنه يرفض كتابة اللغة العربية بحروف غير حروفها، لأنّ ذلك يقطع الصلة بيننا وبين نُرُاثِ أجدادنا؛ ولكنه لا يلبث أن يقترح بعد ذلك وضع الحركات في صلب الكتابة، وتصوير الفتحة والكسرة والضمة بألف وياء وواو مشطورة بخط، كما يقترح أشكالاً جديدة ، وبذلك نرى أنه انتهى إلى u, e, o للحركات الأوروبية التي لا نظير لها في العربية، مثل حروف مخالفة ما بدأ به

أما محمد مسعود فهو يعارض أنستاس أشد المعارضة، ويرى أن في الحروف العربية ميزة لا تتوافر في غيرها من اللغات، وهي الاختصار، ويقول إنَّ أقلَّ إلمام بقواعد اللغة يغني القارئ عن الشكل الكامل، فلا يحتاج إلا إلى (بعض الحركات توضع على حرف واحد أو حرفين في كل بضع كلمات، مرشداً إلى الصواب في النطق، وواقياً على كل حال من مزالِق الأخطاء، وهو يبيِّن ما يترتّب على

تنفيذ اقتراح أنستاس من تعقيد وإضرار، فمن ذلك تضخم الكتب المطبوعة، والاضطرار إلى تغيير حروف الطباعة، وهو بعد ذلك لا يرى ضرورة لمحاولة إيجاد مصطلحات كتابية لتصوير الحركات الأوربية التي لا مقابل لها في العربية، فالعربية نفسها فيها من الحروف ومن الأصوات ما لا يوجد له نظير أو مقابل في اللغات الأوربية، ثم إنه يقول متسائلاً: (دع كل أولئك، وقل لي فيما لو أخذ بأسلوب الأب المحترم، ماذا يكون الشأن بإزاء القرآن الكريم؟! أيطبق عليه وهو حرم مقدس منيع لا تتناوله طوارئ التبديل والتغيير؟ أم لا يطبق، فتكون في اللغة العربية طريقتان لتصوير الكلمات العربية ونفها؛ لا ائتلاف بينهما ولا اتصال، فتقطع بلغة العرب الأسباب، وينتلم جدار القومية العربية)، وتخلُّ أوامر الدين، بل وتعمل فيه معاول الهدم والتدمير؟

أما فريد وجدي فهو يُسلّم بأن الكتابة العربية تحتاج إلى تعديل يحفظ قراءها من أن يذهب كل قارئ منهم مذهباً خاصاً به في قراءة كلماتها، وهو يُبين صعوبة الشكل على عمال المطابع وما يستفد من جهدهم وجهد المصححين، والكاتب لا يدعو صراحة للأخذ بالحروف اللاتينية، ولكنه لا يعارضها. في الوقت نفسها، ويحس قارئ إجابته أن الخوف من الناس وحده هو الذي يمنعه من الجهر به. عرض فيه [29] وكتب طاهر أحمد الطناحي مقالاً عنوانه "هل يمكن إصلاح الحروف العربية؟"، الأصول الأولى للكتابة، التي انتهت إلى أن نُقلَ عنها الخط العربي، فقال إنه منقول عن السوربانية والنبطية، عن الآرامية، عن الفينيقية، عن الديموطيقية (وهو الخط الذي كان يستعمله عامة المصريين القدماء) عن الهيراطيقية (وهو خط الخاصة) عن الهيروغليفية القديمة، ثم تكلم عن التجويد والتحسين والتجميل الذي أدخله عليه كبار الخطاطين منذ (قطبة) في العصر الأموي ثم (ابن مقلة)، ثم (علي بن هلال) إلى ياقوت الرومي المستعصي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ، ثم تكلم عن شكل الحروف بعد أن اختلط العرب بالعجم فكثر اللحن، ثم قال: (وقد انتشرت الحروف العربية بانتشار الحضارة الإسلامية، وكُنيت بها اللغات التركية والفارسية والأردية والأفغانية والكردية والتتارية والمغولية والبربرية والسودانية والزنجية والساحلية، كما كُنيت بها لغة أهل الملايو وغيرهم ممن يبلغون نحو ٢٥٠ مليوناً، ما عدا نحو تسعين مليوناً يكتبون اللغة العربية بالخط العربي، وإذا استثنينا أتراك الأناضول الذين استخدموا الحروف اللاتينية بدل الحروف العربية الآن، بقي عندنا هذه الأمم

الكثيرة التي تكتب بالحروف العربية الحالية منذ نحو ألف سنة، وقد دونت بها آدابها وعلومها وفنونها)، ثم يتساءل الكاتب (فهل يمكن إصلاح الحروف العربية بعد هذا التطور الذي انتهت إليه بالحضارة الإسلامية؟ لقد رأيت كيف اشتقت هذه الحروف وكيف تطوّرت حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن، وقد كتبت بها العلوم والآداب وسائر الفنون في الأمة العربية وفي تلك الأمم التي انتشرت فيها الحضارة الإسلامية منذ ذلك التاريخ).

ويعرض الكاتب المحاولات التي اقترحت لإصلاح الخط العربي، وأولها اقتراح أحمد لطفي السيد سنة ١٨٩٩ بالدلالة بالحروف على الحركات فتكتب ضَرَبَ (ضارابا)، وبإثبات التنوين ورسمه بالكتابة فتكتب سَعْدٌ هكذا: (ساعدون) بالرفع، و(ساعدان) بالنصب، و(ساعدين) بالجر، وبفك الإدغام فتكتب مُحَمَّدٌ هكذا: (موحامدون) في الرفع، و(موحامدان) في النصب، و(موحامدين) في الجر، ثم يتكلم عن اقتراح الراهب أنستاس الكرمللي الذي أعلنه حين كان في مصر سنة ١٩٣٢، والذي يقول إنه فكر فيه سنة ١٩١٤ وهو قريب من اقتراح أحمد لطفي السيد مع تعديل طفيف، ثم يتكلم عن الجهود التي بذلت والتي تبذل الآن لاختراع حروف جديدة أخرى، أو استخدام الحروف اللاتينية بدلها على نحو ما فعل الأتراك، وبدل الكاتب بعد ذلك على عقم كل هذه المقترحات وفسادها، ثم يختتم المقال بالرد على اقتراح الحروف اللاتينية الذي أثاره وقتذاك عبدالعزيز فهمي

كذلك يقول الذين يميلون إلى تغيير الحروف العربية واستخدام الحروف اللاتينية بدلها، وفاتهم ما " قدمناه في هذا الفصل من أن الآداب والعلوم العربية كتبت منذ نحو ألف سنة أو تزيد بهذه الحروف، وليس من السهل إعادة طبعها كلها بالحروف اللاتينية، سواء أكان في الأمة المصرية وحدها أم في "سائر الأمم التي كتبت آدابها وعلومها بالحروف العربية، والتي يبلغ عددها نحو ثلاثمائة مليون

على أننا لو هجرنا الحروف العربية إلى حروف تخالفها لنسيت الآداب والعلوم القديمة؛ كما نُسِيتْ " آداب اللغة الهيروغليفية وغيرها من آداب اللغات الأخرى التي لا يستخدم الناس حروفها الآن، ولأصبح بيننا وبين تراث أجدادنا سدٌّ منيعٌ تُعانيه الأجيال المقبلة كما نعانيه نحن في اللغة الهيروغليفية؛ ومما يدلُّ على ذلك أيضاً أنَّ اللُّغات التي حُلَّت الحروف العربية في كتابتها محل حروفها القديمة؛ كالتركية، والفارسية، والأردية، وغيرها قد نسيت آدابها القديمة، وأصبح بينها وبين "هذه الآداب حلقة مفقودة

إن البحث في مسألة الحروف العربية، أو إصلاحها إلى وجه من الوجوه المتقدِّمة، أو إلى وجه آخر " يُشابهها، إنّما هو بحث فيه مضيعة للوقت دون الوصول إلى ما يخفف العبء على المتعلمين، على أنّ الذين يريدون اختصار الطريق بالتشبه بالأتراك؛ إنّما هم في حقيقة الأمر لا يريدون إصلاحاً، وإنما يريدون انقلاباً ليس من السهل نجاحه بين هذه الملايين من الذين يستخدمون الحروف العربية بين هذه الأمم، وإن نجحَ بعض النجاح في أمة لا تزيد على أربعة عشر مليوناً من الأتراك، وليس لها بالحضارة العربية صلة إلا صلة الدين

فبدأ [30] وكتب المستشرق الإيطالي نلليو عن (الحروف اللاتينية - هل تصلح للكتابة العربية؟ حديثه بالكلام عن الانقلاب التركي في الحكومة الكمالية، واستبدالها الحروف اللاتينية بالحروف العربية، ويبيّن أنّ سبب هذا التغير سياسي، وهو محاربة العنصر العربي والدين الإسلامي، فهم يريدون أن يزعموا أنّ المدنية التركية أقدم المدنيات، (فهي تتصل بالمدنيات البابلية والآشورية القديمة، ولا اتصال لها بالتمدن الإسلامي، ولهذا نجد حملة قوية تمثّلت في كثير من المظاهر، كإبطال الأحوال الشخصية، وتطبيق القانون المدني السويسري، وإلغاء الطرق الصوفية، وتغيير الزّي، ومحاكمة مَنْ يلبسُون الطربوش، والتزام مواعيد العمل في رمضان كالعادة وما إلى ذلك) ثمّ عارض نلليو اقتراح كتابة العربية بالحروف اللاتينية، وبنى معارضته على أسباب منها

- أَنَّ الخَطَّ العربي موافق لطبيعة اللغة العربية، ولو أردنا استبدال الحروف اللاتينية بالحروف - 1 العربية لتَحْتَمَّ علينا إيجاد حروف جديدة نضيفها إلى الأبجدية اللاتينية الحالية؛ لكي تعبر عن الأصوات العربية التي تمثلها حروف ج، ح، خ، ش، ط، ظ، ص، ض، ع، غ، ولاحتجنا كذلك إلى التمييز بين الحروف المتحركة الممدودة، وبين الحروف المقصورة ومنها أَنَّ الخَطَّ العربي يمتاز بميزة فذة (فهو قريب مما يسمى بالاختزال، والخط العربي ليس - 2). (في حاجة إلى اختزال؛ لأن طبيعته تغنيه عن طرق الاختزال).
- ومنها أن استبدال الخط اللاتيني بالخط العربي يستتبع نتائج خطيرة (ككيف يكون مصير الكنوز - 3 العظيمة التي خلفتها الآداب الإسلامية في الدين والفقه والفلسفة والعلوم والآداب والفنون، وغيرها، وكلها مدونة بالخط العربي؟ وأمر كهذا فوق أنه خطر فهو متعذر، لأن الحركات لها شأنها الكبير في الخط العربي، وهي غير كبيرة الأهمية في اللاتيني، ولأنه لا يمكن أن نتصور النفقات الطائلة التي تصرف في هذا السبيل من غير جدوى، وإذا افترضنا أَنَّ المنفعة في إبدال الخط العربي لكان من الضروري أن يسبق هذا اتفاق بين الشعوب الناطقة بالصَّاد، ولو كانت مصر وحيدة في اختيار الحروف اللاتينية فيكون هذا سبب انشقاق الوحدة العربية، والآن مصر هي مركز الآداب والعلوم (العربية في العالم الإسلامي، فإذا تغيَّرت الحروف العربية فتخسر مصر هذا المركز الأدبي الممتاز).

أمَّا الشَّعبة الثالثة من هذه الدَّعوة الهدامة فقد كانت تحاول صرف الناس عن الاهتمام بالأدب العربي القديم، فهي تارة تدعو إلى أن تخص الآداب القومية بمزيد من عناية الدارسين، فتعنى مصر بالأدب المصري، ويعنى العراق بالأدب العراقي، ويعنى الشام بالأدب الشامي، وتارة تدعو إلى توجيه عناية خاصة للآداب الحديثة، وتارة أخرى تدعو إلى العناية بما يحلو لبعض الناس أن يسمَّيه الآن "الأدب الشعبي"، والهدف الأول والأخير من كل هذه المحاولات هو صرف الناس عن الثقافة العربية القديمة، وتقليل العناية بالماضي العربي الإسلامي، شعره ونثره وتاريخه وعلومه، بزعم أنَّها قد أصبحت شيئاً قديماً لا يلائم حياتنا، ولا يتَّصل بها، والجانب الهدام من هذه الدعوة هو أنَّها تؤدِّي -

من حيث يعرف أصحابها ومن حيث لا يعرفون - وأكبر ظنّي أنّ أكثرهم لا يعرفون - إلى تفریق المجتمع العربي، بل الإسلامي الذي يلتقي عند الاشتراك في مناهج دراسة العربية وتذوق أساليبها، فليس في العرب كلهم واحد لا يعرف الأعلام الشامخة في الأدب العربي القديم مثل زهير، والنابغة، والأعشى، وحسان، وجريز، والفرزدق، والأخطل، وأبي تمام، والمتنبي، والمعري؛ وليس فيهم واحد لا يقع هؤلاء من نفسه موضع الإكبار، والإجلال، والتوقير، وكل العرب يسمون الفاعل فاعلاً، ويسمون المفعول به مفعولاً، ويسمون كل باب من أبواب النحو باسم واحد، ويسمون التشبيه تشبيهاً، والاستعارة استعارة، ويسمون كل باب من أبواب البلاغة باسمه.

فإذا انصرف الناس عن دراسة الأدب القديم، وذهب كل واحد منهم مذهبه في دراسة آداب بلاده أو في دراسة الآداب الحديثة، أو ما يُسمّى بالآداب الشعبية، لم يبق هناك قدر مشترك بين ثقافات الجيل القادم من العرب بل المسلمين.

وهذا القدر المشترك من الثقافة هو الذي يكون القدر المشترك من الذوق ومن التفكير، الذي لا تفاهم ولا تواصل بغيره، وإذا انصرف الناس عن دراسة علوم الآداب العربية القديمة؛ كالنحو والبلاغة، وجرواً وراء كل ناعق يزعم أنّ القواعد القديمة معقّدة، وذهب كل منهم مذهبه في استنباط قواعد جديدة، وتسمية المسميات بأسماء مبتكرة، لم يفهم أحدهم عن الآخر، فإذا اختلف مصري وحجازي مثلاً في ضبط كلمة من الكلمات فتحاكما إلى قواعد اللغة، وقال الحجازي هذا فاعل، لم يفهم عنه الذي لا يُسمّى الفاعل فاعلاً؛ ولكنّه يُسمّى (موضوعاً) أو (أساساً) أو (مسنداً إليه)، بحسب اقتراح، وإذا قال أحدهما هذا منصوب لأنه حال، أو تمييز، أو [31] إحدى لجان وزارة المعارف المصرية ظرف، أو مفعول مطلق، أو مفعول معه، أو مفعول لأجله، لم يفهم الآخر الذي لا يميز بين حالة [32] من هذه الحالات، لأنه يسميها جميعاً (تكلمة)، وقس على ذلك سائر قواعد النحو والبلاغة.

ذلك هو ما يعلل لنا عناية الأوروبيين بتوجيه العرب في دراساتهم الأدبية هذه الوجهة، وصرّفهم عن العناية بالأدب القديم، ودعوتهم علماءهم ومفكرّتهم لإلقاء المحاضرات، وتأليف الكتب، وشهود المؤتمرات، التي تعين على تقوية هذا الاتجاه، بعد أن يقترحوا عليهم موضوع ما يدعونهم لإلقائه

وتأليفه من بحوث، أو محاضرات، أو كتب.  
كانت هذه الدعوات الهدامة كلها تستهدف غايتين

١- تفریق المسلمين عامّة، والعرب خاصّة، بتفريقهم في الدين، وتفريقهم في اللغة، وتفريقهم في الثقافة، وقطع الطريق على توسع اللغة العربية المُحتَمَل بين مسلمي العالم، حتى لا تتم وحدتهم [33]الكاملة.

٢- قطع ما بينهم وبين قديمهم، والحكم على كتابهم (القرآن) وكل تراثهم بالموت، لأنّ هذا القديم المشترك هو الذي يربطهم، ويضمّ بعضهم إلى بعض

وليس الخطر الكبير في الدعوة إلى العاميّة، ولا هو في الدعوة إلى الحروف اللاتينية، فمثل هذه الدعوات ظاهر الخطر، وأصحابها من مغفلي الهدامين؛ ولكن الخطر الحقيقي هو في أنصاف الحلول، الخطر الحقيقي في الدعوات التي يتولاها خبثاء الهدامين، ممن يخفون أغراضهم الخطيرة ويضعونها في أحب الصور إلى الناس، ولا يطمعون في كسب عاجل، ولا يطلبون انقلاباً كاملاً ، حين وصف تطور المجتمع Gibb سريعاً، ولكنهم يقنعون بالتحول الهادئ الذي أشار إليه ، الخطرون من خبثاء [34]الإسلامي المصري بأنه يسير سيراً هادئاً تدريجياً لا يكاد يسترعي الانتباه الهدّامين هم الذين يزعمون أنهم مشفقون على العربية، وأنهم يحمونها من خطر الداعين إلى العامية وإلى كتابتها باللاتينية؛ ولذلك فهم لا يطلبون إلا بتطعيمها بالعامية، ولا يطلبون بأكثر من تعديل بعض قواعدها، ولا يذهبون إلى استبدال الحروف اللاتينية بحروفها، ولكنهم يقترحون تغيير قواعد الإملاء، هؤلاء هم أصحاب الحل الوسط الذين يمثلون في هذه المؤامرة عضو العصابة التي تتحصّر مهمّته في التظاهر أمام الضحية بالشفقة عليه، والحرص على مصلحته لتسكن نفسه إليه فراراً من حملة السكاكين الذين يتهدّدونه، والواقع أنّهم جميعاً على سواء، فالمسألة لا تحتمل حلاً وسطاً.. إمّا أن نتمسك بديننا وبوحدتنا، فنتمسك بالعربية؛ كتابة ولغة ونحواً وأدباً وثقافة، وإمّا أن نُسقط هذه الاعتبارات من حسابنا، وعند ذلك يستوي أن يكون الذي نعدّل إليه هو هذا أو ذاك مما يقترحون

، الذي [35]"ولعلّ أسلوب فكري أباطة من أصلح الأمثلة على ما أقول، خذ مثلاً مقاله "التقليد زم

:يسخر فيه من المتفرنجين، فيقول فيما يقول

"دعنا من هذا وانتقل بنا إلى الاجتماعيات، وتعال معي نحقق ونحلق في ذلك الطالب الصعيدي " (القحف)، الذي أبى إلا أن يقلد (الخواجات)، فطرح الطربوش و(زِرَّ) الطربوش، ووضع على شعره (الأكرت)، ورأسه التي أخذت في عالم الهندسة شكل (الشبه منحرف) البرنيطة أو (الكسكتة)، هل تفرق بينه وبين بائعي الإسفنج ومساحي الأحذية من الأرمن (وجرسونات) القهاوي بعد (التشطيب) ".!!وبائعي اليانصيب، والفارين من الخدمة العسكرية؟

ثم انظر إليه وقد أبت سليقته وطبيعته وخلقته إلا أن (يزحلقها) كما (يزحلق) الطربوش، فظهرت من " تحت حوافيها (القصة) البلدي، (البولافي) وظهر من تحتها وجه (كالفرمة)، أو (كالطرة) لا تستطيع ".!!فك رموزه أو حل طلاسمه؟

فإن لم تعجبك هذه (التقليعة)، فتعال معي أفرجك على أستاذ من طلبة دار العلوم، هجر الجبة " والقفطان والمركوب والعمه، ودخل في (البنطلون) واحتل الطربوش رأسه (الزلطة)... مرة ١... واختفت ربطة (البمباغ) داخل الياقة الواسعة... فإذا سار هرول، وإذا أكل (شمر)، وإذا شرب (مصمص) وإذا جلس جلس القرفصاء، وإذا هب (زي الناس) احتاس، كل هذا العناء لأنه يريد أن "يقلد (الأفندية) رغم أنف حالته الطبيعية والمعنوية

فإن لم يكفك ما قدمت من سخافات التقليد، فتعال اجلس مع أصدقائك المصريين الحاضرين حديثاً " من إنكلترا، وانظر كيف يتكلفون الجلسة، والنغمة وكيف يطلبون (الشاي) في الميعاد، وكيف يتكلفون بوضع قطعة سكر واحدة في الفنجان، وأقسم لك بكل عزيز لديك أنهم يكرهون الشاي، ويودون لو "!(شحنوا الفنجان بقطع السكر التي أمامهم لولا (الملامة

وتعال انظر أحدهم وقد تزوج من (لندن) ثم حضر إلى القاهرة مع زوجته، مقلداً الزوج الأجنبي في " المعاملة، والمجاملة، والقيام، والجلوس... كل هذا في خارج المنزل، فإذا استطعت أن تدخل معهما

داخل المنزل سمعت بأذنيك كل أصناف وأنواع (الردح) الأصلي، ورأيت بعينيك كيف يهوي (بالكفوف) و(اللكاكيم) على الوجه والصدر، ثم إذا أردت إلقاء نظرة سطحية على مسكن الزوج المقلد المنفرنج وجدت (الثلث) و(الكتاكتيت) في الصالة... ووجدت (الوالدة هانم) الحاجة (ست أبوها) .تخرط الملوخية، أو (تقمع) البامية... والعاقبة عندكم في المسرات

فالخطر في مثل هذا الأسلوب خفي غير واضح، والأسلوب بعد ذلك خفيف مستلمح يستهوي القارئ، ولكن المقال مع ذلك لا يكاد يفهمه أو يتذوقه من العرب غير المصري إن الخطر في هذه الدعوات ليس في العامية نفسها ولا هو في الحروف اللاتينية بعينها، ولكنه في قبول مبدأ التطوير، فالذين يجتمعون اليوم على تكلم عربية واحدة فصيحة، ويلتزمون فيها قواعد موحدة، لغة وكتابة، إذا سلموا بمبدأ التطوير وأخذوا فيه، فسوف لا يتفقدون على سبيل واحد يسلكونه في ذلك، وسيذهب كل واحد منهم مذهباً يغاير مذهب الآخر، ثم إنهم سوف لا ينتهون في ذلك عند حد معين تنتهي عنده سعة الخلف بين اللغات الجديدة، الناشئة عن قبول مبدأ التحرر من القواعد؛ لأنَّ التَّمسُّكَ بها والتزام طريقها هو العامل الوحيد الذي ضبط تطور العربية وصان وحدتها خلال أربعة عشر قرناً، فأصبح القرآن بفضل ذلك؛ وكأنه أنزل فينا اليوم

وأصبح شعراء العربية وفقهاؤها وفلاسفتها وكتابها وأطبائها ورياضيوها وطبيعيوها وكيميائيوها، وكأنهم كتبوا ما كتبوا وألفوا ما ألفوا بالأمس القريب، وتلك ميزة من الله بها علينا، ولم تحظ بها أمة من الأمم، وليس ذلك كله إلا بفضل اجتماع المسلمين على قداسة اللغة التي نزل بها القرآن، والتزامهم أن لا يخرجوا على أساليبها وقواعدها، على أن ذلك لم يكن في يوم من الأيام داعية إلى تحجر اللغة، وجمود مذاهب الفن فيها، ووقوفها عند حد تعجز معه عن مسايرة الحياة، فليس التطور نفسه هو المحذور، ولكن المحذور هو أن يخرج هذا التطور عن الحدود المقررة المرسومة، وذلك يشبه تقيّد النَّاسِ في حياتهم الاجتماعية بقوانين الدين والأخلاق، فليس يعني ذلك أنَّهم قد استعبدوا

لهذه القوانين، وأنها قد أصبحت تحول بينهم وبين مسaire الحياة، ولكنّه يَعْنِي أَنَّهُمْ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَغْدُوا وَأَنْ يَرُوحُوا كَيْفَ شَاءُوا، وَأَنْ يَسْتَمْتَعُوا بِخَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَطَيِّبَاتِهَا، وَيَتَصَرَّفُوا فِي مَسَالِكِهَا وَيَمْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا، كُلُّ ذَلِكَ فِي حُدُودِ مَا أَحَلَّ اللهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مَعَ الْإِلْتِزَامِ بِالْوُقُوفِ عِنْدَ حُدُودِ اللهِ.

كذلك اللغة، وضع اللغويون والنحاة لها حدودًا طابقوا بها مذهب القرآن وشعر العرب، وتركوا للناس من بعد أن يتحدثوا ما شاءوا من أساليب، وأن يتصرفوا فيما أرادوا من أغراض، وأن يجددوا ما أحبوا مما يشتهون، ولكن كل ذلك ينبغي ألا يخرج بهم عن الحدود المرسومة، فماذا في ذلك غير ضمان الاستقرار، والحرص على جمع الشمل؟ ولماذا نحن إلى مثل ما ابتلي به غيرنا ممن لم يكرمهم الله بمثل ما أكرمنا، ولماذا نشتهي أن تتبلبل السنننا حتى لا يفهم بعضنا عن بعض، كما تبلبلت السنة الذين كانوا مجتمعين على اللاتينية ففرقوا فيها؟ وأي ربح قد جنوه من بعد؟ وأي مزايا حقّقوها ممّا لم تكن تحقّقه لهم وحدتهم اللغوية؟ وهل وقع بعضهم في بعض، وولغ بعضهم في دماء بعض، إلا من آثار هذه الفرقة اللغوية، التي جعلت منهم أممًا بعد أن كانوا أمة واحدة، والتي ترتّب عليها أن فقدوا وحدتهم المسيحية، ثم لم يستطيعوا أن يعودوا إليها بحال؟



## مقتطفات من لغتنا الجميلة

### لغة الضاد

قل لي بريك : هل صادفتَ بستانا \*\*\* يحوي من الأكل الفيّاض ألوانا  
فيه الفواكه مما طاب مغرسُها \*\*\* أو الثمارُ تدلّي فيه أفنانا  
أو الينابيعُ ، جلّ الله باجسُها \*\*\* كدفقة الروح تُزجي الخير ريّانا  
يهوى النسيم ظلالَ الأُنس مائسةً \*\*\* فيه، يراقص غصنَ الحور هيماننا  
أو العصافيرُ سكرى تنتهي طرباً \*\*\* بعطر أنسامها ينساح نشواننا  
تبارك الله ، هذا الفضل ألهمني \*\*\* آياتِ درّ، بها قد جدت فنانا  
أسبّح الله ، يحدوني لحضرتَه \*\*\* قلبٌ تفجّر حبّاً، فاض تحناننا  
قد شاره من لسان الضّاد مقخرةً \*\*\* لما تشرفّ بالتنزيل قرّانا  
لساننا قد سرى سحرّاً ، يؤلّقه \*\*\* معنى بديعُ، ولفظ دقّ عرفانا  
أما المعاني فبحرٌ زاخرٌ عيبٌ \*\*\* واللفظ فيه استوى قيعاً وشطاننا  
نسعى إليه نهالاً من مراشفه \*\*\* ونصطفي من جميل الدرّ حصباننا  
إن رمتَ معنىً جليلاً نلتَ أوفره \*\*\* أو شِمتَ لحناً لطيفاً حزتَ ألحاننا  
إن كانت الحليّ قد صيغتْ بعسجدها \*\*\* فهيجتْ بوميض المال دنياننا  
فإن أنوار آي الضاد من شرفٍ \*\*\* قد تيمّت قبل أهل العين عمياننا  
فهني العرائس لا تبلى على قديمٍ \*\*\* في كل آن ترى من حسنّها شاننا  
تهديك كلّ جديد من ولاندها \*\*\* كفلقة البدر ، بل فاقته إحساننا  
وصوغها لصحيح الفكر يكسبه \*\*\* فوق الوضوح بياناً جلّ تبياننا  
والشعر أغرودة اللهفان يرسلها \*\*\* نفثاً يحرك في الأعماق أشجاننا  
يلقيه نبضاً يهيم السامعون به \*\*\* ويلهب القوم إحساساً ووجدانا

يثير فيهم غراس الخير يانعة \*\*\* ويدفع القوم للميدان شجعانا  
والنثر نسج حوى من سندس ألقاً \*\*\* فيه السناء، ومن إستبرق زانا  
يعلو به من سمت في قلبه فكرٌ \*\*\* جلى تساوق في الأثمان عقيانا  
لله درُّ لسان الضاد منزلة \*\*\* فيها الهدى والندى والعلم ماكانا

### غرائب وعجائب اللغة العربية

قد تكون رأيت من قبل غرائب في الدنيا وعجائب .... ولكنني الآن أضع لك شيئاً أستطيع  
أن أقول بأنه جمع ما بين الغرابة ... والطرافة بنفس الوقت ... فأليك  
إحدى غرائب وطرائف لغتنا العربية التي أدهشتني فعلاً بغرابتها وطرافتها

### أبيات كل حروفها بدون تنقيط

الحمد لله الصمد حال السرور والكمد  
الله لا اله إلا الله مولاك الأحد  
أول كل أول اصل الأصول و العمد  
الحول والطول له لا درع إلا ما سرد

أبيات تقرأ طردياً وعكسياً بدون تغيير

"قمر" يفرط عمدا "مشرق" رش ماء دمع " طرف يرمق  
قد حلا كاذب وعد تابع لعبا تدعو بذاك الحدق  
قبس يدعو سناه إن جفا فجناه انس وعد يسبق  
قر في إلف نداها قلبه بلقاها دنف لا يفرق

بيتا مدح يصيران هجاء بقراءة كل بيت عكساً

باهي المراحم لابس كرما قدير مسند  
باب لكل مؤمل "غنم لعمرك" مرفد

إذا عكسنا ترتيب حروف كل بيت

دنس مرید قامر كسب المحارم لا يهاب  
دفر مكر "معلم" نغل مؤمل كل باب

أبيات في كل كلماتها حرف شين

فأشعاره مشهورة ومشاعره وعشرته مشكورة وعشائره

شماله معشوقة كشموله ومشهده مستبشر ومعاشره  
شكور ومشكور وحشو مشاشه شهامة "شمير يطيش" مشاجره

بيت تتشابه فيه نطق بعض الكلمات وتختلف في المعنى

طرقت "الباب حتى كل متني ولما كل متني كلمتني  
المقصود بكلمة كل متني أي تعبت اكتافي من طرق الباب

الكلمات المنحوتة أي المركبة من كلمتين او اكثر وقد تكون جملة مثل

برمائي : بر وماء

إمّع او إمّعة : من يتبع رأي الناس ، من كلمة (إني معك )

بسملة : من كلمة ( بسم الله الرحمن الرحيم )

المنثى الدال على كائنين غير متشابهين

الثقلان : الانس والجان

الوالدان : الاب و الام

الداران : الدنيا و الآخرة

العشاءان : المغرب والعتمة

الأصفران : القلب و اللسان

الأصفران : الذهب والزعفران

أصل تسمية الشهور الهجرية

محرم : لانه أحد الأشهر الحرم عند العرب

صفر : لان ديار العرب كانت تخلو من اهلها في هذا الشهر بخروجهم الى الحرب

بعد شهر محرم ، ويقال : اصفرت الدار اذا خلت

ربيع الاول ، ربيع الآخر : لوقوعهما في الربيع

جمادي الاولى ، جمادي الآخرة : لانهما يأتیان في الشتاء حيث يتجمد الماء

رجب : كان العرب يعظمونه بترك القتال

شعبان : كانت القبائل تنتشعب للحرب و الاغارات بعد تركهم لها في رجب

رمضان : اشتق من كلمة الرمضاء لوقوعه في وقت اشتداد الحر

شوال : لان الابل كانت تشول فيه بأذنانها أي ترفعها طلبا للتلقيح

ذو القعدة : كانت العرب تقعد فيه عن القتال

ذو الحجة : كان الحج يقام فيه

معاني بعض الاسماء

زينب : شجرة حسنة المنظر طيبة الرائحة

خديجة : الطفلة التي تولد قبل الشهر التاسع

خنساء : من بها جمال في انفها

فاطمة : المرأة التي فطم عنها ولدها

ام كلثوم : المرأة ذات الوجه الممتملى

لجين : الفضة

هيثم : ابن الصقر

هشام : الجود و الكرم

جعفر : النهر الصغير

الحارث : الكاسب للمال

علي : كثير الارتفاع والعلو

صهيب : تصغير أصهب والصهبة من ألوان الإبل يبيض يعلوه شبيه بالصفرة

الشعر وقد خالط لونه الحمرة

حسين : الجبل العالي

ياسين : يا انسان بالحبشية

المقداد : الجميل الحسن القوام

نشيد لغتي

لغتي...ديني...وطني

لغة الامجاد منذ يعربي\*\*\*لغتي

ولسان الحق من عهد النبي\*\*\*لغتي

مجدها مجدي وتاريخ ابي\*\*\*لغتي

-----  
لغتي...ديني...وطني  
لغة الرحمان في قرآنه\*\*\* لغتي  
ولسان الوحي في تبيانہ\*\*\* لغتي  
وبيان الحر عن وجدانه\*\*\* لغتي  
-----

لغتي...ديني...وطني  
ينقل التاريخ في اسطره\*\*\* عزة الماضي ولا تغفلي\*\*\* لغتي  
يعجز الفنان في تعبيره\*\*\* عن معانيه ولا تعجزني\*\*\* لغتي  
ويضيق الفن في تصويره\*\*\* عن مبانیه ولا تخذلي\*\*\* لغتي  
-----

لغتي...ديني...وطني  
وسعت كل طريف وتليد\*\*\* لغتي  
ووعت لي عزة الماضي المجيد\*\*\* لغتي  
ضمنت لي في فم الدنيا الخلود\*\*\* لغتي  
لغتي...ديني...وطني

## الخاتمة

وأختتم حديثي بأن أزيد من يقين قارئه بما للعربية من ميزة لا تدانيها لغة أخرى في العالم بأسره، يمكن أن نلمسها في بعض المواضع التي أشارت إلى حقائق علمية في القرآن الكريم والسنة المطهرة؛ مما يطلعنا على أن لهذه اللغة قدرة على تأدية وحمل مستويات متراكبة من المعنى تحملها تراكيبيها، ولعلّ مثلاً واحداً من ذلك من بين أمثلة كثيرة تطمئن النفس إلى هذه الحقيقة، يتضمّن قول الله - ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾ . تبارك وتعالى -

لقد كان فهم المفسرين للظلمات الثلاث حتى عام ١٩٧٠ أن الجنين تلقه ظلمة المشيمة، والمشيمة تلقها ظلمة الرحم، والرحم تلقه ظلمة جدران البطن، وقد توصل العلماء التجريبيون في محاولات لعلاج بعض حالات العقم وهم يُجرون تجارباً لمحاولة التلقيح والإخصاب خارج الرحم إلى أن البويضة الملقحة المخصبة إذا تعرّضت لأدنى نسبة من الضوء في الفترة من يوم إلى ثلاثين يوماً فإن الجنين يُصاب بالتشوّه التام، وقد توصلوا إلى ذلك بعد سلسلة طويلة من التجارب ينمو فيها الجنين مشوّهاً مع أخذ كلّ الاحتياطات اللازمة والفروض الممكنة، فلم يتوصلوا إلى النموّ السليم للجنين إلا بعد إجرائها في الظلمة التامة، ممّا حدا بأحد هؤلاء العلماء وهو يقرأ تلك الآية السابقة إلى أن يكتب مقالاً علمياً أثبت فيه إشارة القرآن الكريم إلى تلك الحقيقة التي تشير إليها كلمة الظلمة في الآية السابقة .

إنّ اللغة العربية قادرة على أن تحمل تراكيبيها مستويات من المعاني تؤدّيها كما اتّضح ذلك من هذا المثال، ومثل ذلك يمكن أن يُقال عن حقيقة بصمات الأنامل، وهي من نتائج الكشف العلمي الحديث، ولعله قد أُشير

إليها في القرآن الكريم في مثل قوله - تعالى - ﴿ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴾ ، لقد كان المفسرون يُشيرون إلى أن الله قادرٌ على أن يبعثَ الإنسان وأن يعيده بأدق تفاصيله، ومنها الأصابع بأطرافها بوصفها أعضاء مُعقّدة التركيب تكثُر فيها المفاصل والعضلات والأعصاب، لكن بعد أن الله يُعيدُ هذه الأنامل - الكشف الحديث لبصمات الأنامل يمكن - إضافةً إلى القول السابق ببصماتها الدقيقة التي لا تتشابهُ مع مُعاصرٍ أو سابقٍ أو لاحقٍ، فهو مستوى من المعنى أدتُه العريّة كأحسن الأداء، إلي غير ذلك من المواضع التي تُطمئنُ الإنسان إلى لغةٍ بارعة تمكّنت من التعبير عن نفسك لنفهم الآخرين ولتفهم عنهم، ولتكون لك أداة ذلولاً تُسخرها فتؤدّي لك ما تريد بكفاءةٍ واقتدار .

لكنّ ذلك يحتاجُ إلى درجةٍ طيّبة من التعلّم والتدرب؛ حتى يسلس قيادُ هذه اللغة لمن أراد .

ومن باب تيسيرِ تعليم هذه اللغة فإنّ الاستفادة من مُعطيات العصر لتعدُّ من الوسائل الممكنة لهذا الغرض؛ كاستعمال الحاسوب وغيره ممّا أنتجتُه الحضارة الحديثة .

إنّ مقارنة العريّة بغيرها من اللغات في درجة الصُّعوبة والتعقيد لتثبت أنّ نتيجة تلك المقارنة لصالح العريّة، خذ على ذلك مثلاً اللغة الصينية، فإنّ المتحدث بها لا بدُّ له أن يُتقن أكنز من ثلاثة آلاف مقطع صوتي، لكلّ مقطع صورة خطيّة حتى يستطيع أن يتعامل بهذه اللغة بحريّة واقتدار، ومع ذلك فإنّ أهلها لم يشكوا ولم يئنوا من تلك الصُّعوبة التي يشعُر بها أبناء العريّة تجاه لغتهم الحبيبة؛ ذلك أنهم أدركوا ما تؤدّيه هذه اللغة في حياتهم، وأنها وسيلةٌ من وسائل تحقيق الذات الإنسانيّة ووسيلة من

وسائل توحيدهم، فاعتزوا بها واصبروا عليها، فهل نحن أقل من هؤلاء إدراكاً لما تُؤدِّيه لغتنا في حياتنا؟

ويكفي أن نعلم أن لغة كالألمانية يَشِيْعُ فيها الإعراب؛ ففيها حالة الرفع والنصب والجر والإضافة، ويشيع في قواعدها الشذوذ المرصود على كل قاعدة من قواعدها، بل إنك لتجد استثناءات تتخلل مواضع الشذوذ على كل قاعدة، ثم إن لكل مفردٍ جمعاً ينبغي أن يُحفظ عند معرفة مُفْرَدِه؛ لأن صور الجمع فيها لا تسير على صورٍ وطرقٍ واحدة، فالشذوذ فيها والاستثناء هو الأصل، ومع كل ذلك تجد الألماني يعتز بلغته، ولا يرضى بها بديلاً، ويُقبل عليها المتعلمون والعامّة؛ لأنهم يدركون قيمة اللغة في حياتهم، فهل نحن أقل من هؤلاء إدراكاً لدور اللغة في حياتنا؟

إن إدراكنا لما تُؤدِّيه اللغة في حياتنا من دور عام يتمثل في قدرتها على القيام بالوظائف التي تُؤدِّيهها كل لغة في حياة المتحدثين بها، ثم يُضاف إلى ذلك أنها مدخلنا إلى فهم ديننا وما كتبت من علوم في حضارة الإسلام، إن ذلك يُمثل دافعاً قوياً لأن ينزل هذه اللغة المنزلة اللائقة بها، ثم إذا أضفنا إلى ذلك قدرتها على أن تكون لغة العلم كما كانت بما تمتعت به من صفات تُرشحها لذلك، مع الاستفادة من معطيات العصر والأخذ بأسبابه كإدخال الحاسب الآلي في خدمتها، كل ذلك يدفعنا إلى أن نحسن اصطِناع هذه اللغة، وأن نكون على يقين من أنها قادرة على الوفاء بما نطلبه منها إن نحن وفينا لها بما تطلبه هي منّا .

## المراجع

- ١- "المدخل إلى دراسة النحو العربي على ضوء اللغات السامية"  
د/ عبدالمجيد عابدين ، طبعة القاهرة عام ١٩٥١م، ص ١٠٢، نقلاً عن "فصول في فقه عربية"؛ د/  
رمضان عبدالنواب، ص ١٠٨ طبعة الخانجي، ١٩٨٠م .
- ٢- الخصائص " لابن جنى تحقيق : محمد على النجار ، طبعة دار الهدى " بيروت بلا تاريخ،  
وانظر: "مدخل إلى علم اللغة"؛ د. محمد حسن عبدالعزيز .
- ٣- انظر في ذلك "التعريف بعلم اللغة"؛ لديفيد كريستل ص ٨٩، ٩٠، و"مدخل إلى علم اللغة"؛ د.  
محمد حسن عبدالعزيز ص ٩، و"من أسس علم اللغة"؛ د. حبلص ص ٦٣ ، و"اللغة"؛ لفندريس  
ص ٣٥ .
- ٤- انظر: "اللغة"؛ لفندريس، ص ١١، و"من أسس علم اللغة"؛ د. حبلص، ص ٦٤ .

٥- ديوان حافظ إبراهيم ١: ٢٥٣

٦- راجع الفقرة ٣ من الفصل الثاني في هذا الكتاب

٧- راجع مقالاً للمنفلوطي في مهاجمة الريحاني وفرقته أثناء الحرب العالمية الأولى في "النظرات" ٣ - ٣٧ تحت عنوان "الملاعب الهزلية".

٨- وكان أول ما ظهر في هذا الميدان رواية "زينب" لهيكل، التي كتب حوارها باللهجة السوقية

٩- راجع مجلة مجمع اللغة العربية: الجزء الأول "شعبان ١٣٥٣ - أكتوبر ١٩٣٤" ص ٣٥٠ إلى ٣٦٩، الجزء الثالث "شعبان ١٣٥٥ - أكتوبر ١٩٣٦" ص ٣٤٩ - ٣٧١، والجزء الرابع "شعبان ١٣٥٦ - أكتوبر ١٩٣٧" ص ٢٩٤ - ٣١٥، وراجع كذلك مقالاً لعضو آخر من أعضاء المجمع - وهو عبدالقادر المغربي - تحت عنوان "دراسة في اللهجة المصرية" في الجزء الثالث ص ٢٩٠ - ٣٠١.

١٠ - الهلال عدد ١٥ مارس ١٩٠٢ - ٥ ذي الحجة ١٣١٩ س ١٠، ص ٣٧٣ - ٣٧٧ تحت عنوان "اللغة الفصحى واللغة العامية" لإسكندر المعلوف، وقد أشار ابنه عيسى إسكندر المعلوف في مقاله الذي نشره في الجزء الرابع من مجلة المجمع "ص ٣١٥" إلى أنه قد ألف معجمًا مطولاً جمع فيه ألفاظ العامية، ولعله هو المعجم الذي صرح أبوه في مقال الهلال السابق بأنه مشغول بجمعه.

١١- في مؤتمر لم يكد يفهم بعضهم عن بعض إلا إذا تكلموا العربية الفصيحة

١٢- وقد كان من هؤلاء الأعضاء من ليس عربياً، بل لقد كان في هؤلاء المستشرقين من غير على أن (H.A.R, Gibb) العرب من هو معروف بصفته الاستعمارية، مثل المستشرق جب المستشرقين كلهم من مستشاري وزارت الخارجية، والمستعمرات في بلادهم.

١٣- راجع الجزء السادس من مجلة المجمع جمادى الآخرة ١٣٧٠ - إبريل ١٩٥١ ص ١٨، ٨٥، ١٧٠، والواقع أن الكتابة العربية ميسرة والحمد لله؛ ولكن فريقاً من الناس يصر على إيهامنا أنها صعبة، وسنعود إلى الكلام في ذلك

١٤- في العام الماضي "١٩٥٥" كتابًا في "اللهجات وأسلوب دراستها" لأنيس فريحة، جمعت فيه المحاضرات التي ألقاها في معهد الدراسات العربية العالية في ذلك العام، وموضع العجب في ذلك أن الجامعة العربية هي جامعة اللغة العربية، وأن اللغة العربية المقصودة هي اللغة الفصيحة التي تشترك فيها سائر الدول العربية... وهذه اللغة العربية الفصيحة هي وحدها الجامعة التي لا يستطيع أن ينكرها دعاة الشقاق، ولا يستطيع أن يماري فيها أصحاب الأهواء والأغراض، فإذا تفرق الناس فيها وذهب كل بلد بلهجته - على ما يريد المؤلف - لم يستطع بعضهم أن يفهم عن بعض، فينفرط عقدهم، وهل وجد (الكومون ويلث) إلا نتيجة للغة الإنجليزية المشتركة بين دوله؟ أليس عجبًا أن يستغل منبر الجامعة العربية لهدم الجامعة العربية، أوليس في ذلك من التناقض ما يدعو إلى الرثاء؟

١٥- ص ٢٠ Wither Islam

١٦- يصف الدكتور حسين الهراوي تقريرًا من لجنة العمل المغربي الفرنسية وقع في يده فيقول "فرايت هذا التقرير يتبع السياسة الاستعمارية، ويصف مقاومة الإسلام والتقارير السرية التي يرسلها المستشرقون في البلاد المستعمرة إلى حكوماتهم لمقاومة الإسلام، لأن روحه تتنافى مع الاستعمار، وأن أول واجب في هذا السبيل هو التقليل من أهمية اللغة العربية، وصرف الناس عنها بإحياء اللهجات المحلية في شمال إفريقيا واللغات العامية، حتى لا يفهم المسلمون قرآنهم، ويمكن التغلب على عواطفهم" - الهلال، عدد يناير ١٩٣٤ س ٤٢ ص ٣٢١ - ٣٢٨ تحت عنوان "هل ضرر المستشرقين أكثر من نفعهم"، وراجع مقالي إسكندر المعلوف في العديدين الأول والثالث من مجلة مجمع اللغة العربية فيما ألفه الأوروبيون من كتب عن اللهجات السوقية في الأمصار العربية المختلفة.

١٧- تراجع في ذلك المقالات الآتية: الرابطة الشرقية، العدد الثامن من السنة الأولى بعنوان "اللغة العربية الفصحى والدعوة إلى العامية" الهلال يناير ١٩٠٢ ص ٢٧٩ - ٢٨٢، مارس ١٩٠٢، ص ٣٧٣ - ٣٧٧، ديسمبر ١٩١٩ ص ٢٠١ - ٢٠٨، يناير ١٩٢٠ ص ٢٩٧ - ٣٠٢، فبراير

١٩٢٠، ص ٣٩٨ - ٤٠٣، مارس ١٩٢٠ ص ٤٨٩ - ٤٩٧، إبريل ١٩٢٠ ص ٥٨٥ -  
٥٩٠" والأعداد الخمسة الأخيرة تشتمل على أجوبة بعض الأدباء والمستشرقين على أسئلة  
اقترحتها المجلة وسمتها "استفتاء الهلال"، يوليو ١٩٢٦ ص ١٠٧٣ - ١٠٧٧، يوليو ١٩٣٣  
ص ١١٨٥ - ١١٨٨، نوفمبر ١٩٣٣ ص ١٠٨ - ١١٣، يناير ١٩٣٤ ص ٢٧٣ - ٢٧٨  
و٣٢١، ٣٢٨، أغسطس ١٩٣٨ ص ١١٠٨ - ١١١٩، وراجع كذلك مجلة المقتطف في أعداد  
توفمبر ١٨٨١ ص ٣٥٢ - ٣٥٤، ديسمبر ١٨٨١ ص ٤٠٤ - ٤٠٥، يناير ١٨٨٢، ص  
٤٩٤ - ٤٩٦، فبراير ١٨٨٢ ص ٥٥٦ - ٥٦٠، مارس ١٨٨٢ ص ٦١٨ - ٦٢١، إبريل  
١٩٨٢ ص ٦٩٠ - ٦٩٦، فبراير ١٩٠٢، ص ١٨٧ - ١٩١، مارس ١٩٠٢ ص ٢٥٧ -  
٢٦٣.

١٨- راجع العدد السادس من مجلة مجمع اللغة العربية في صفحات ٧١، ١٧١، ١٧٨، راجع  
كذلك مقال بشر فارس في الهلال، عدد نوفمبر سنة ١٩٣٣ ص ٤٢ ص ١٠٨ - ١١٣ بعنوان  
"التجديد في اللغة العربية"، راجع كذلك مقالاً لسلامة موسى في عدد يوليو عام ١٩٢٦ ص ٣٤  
ص ١٠٧٣ - ١٠٧٧.

١٩- راجع رد طه حسين على استفتاء الهلال "هل اللغة العربية في حاجة إلى إصلاح" في عدد  
يناير سنة ١٩٣٤ ص ٤٢ ص ٢٧٢ - ٢٧٨، وراجع كلمة أحمد أمين في مجمع اللغة العربية،  
وهي منشورة في الجزء السادس من مجلته ص ٨٧ - ٩٧ تحت عنوان "اقتراح بعض الإصلاح  
في متن اللغة".

٢٠- راجع مقال سلامة موسى في الهلال، عدد يوليو سنة ١٩٢٦ - ذو الحجة ١٣٤٤، ص  
٣٤ ص ١٠٧٣ - ١٠٧٧ تحت عنوان "اللغة الفصحى واللغة العامية"، وراجع كذلك مقال أحمد  
أمين السابق في الجزء السادس من مجلة مجمع اللغة العربية، وراجع رد محمد الخضر حسين،  
ورد إبراهيم حمروش عليه في ص ٩٣ - ١٠٨ من الجزء نفسه، وراجع تقرير لجنة وزارة  
المعارف في تيسير قواعد النحو والصرف والبلاغة، ورد مؤتمر المجمع عليه، في مجلة مجمع

اللغة العربية ج ٦ ص ١٨٠ - ١٩٧، ومن أجراً ما اقترح في هذا الصدد وأخطره ما جاء في مقال لحسن الشريف نشره بمجلة الهلال، عدد أغسطس سنة ١٩٣٨ - جمادى الآخرة عام ١٣٥٧، س ٤٦، ص ١١٠٨ - ١١١٩ تحت عنوان "تبسيط قواعد اللغة العربية".

٢١- مستقبل الثقافة"، الفقرة ٤٩ ص ٣٤٦، وقد بسط أنيس فريحة هذه الدعوة بعد ذلك في محاضرات ألقاها في معهد الدراسات العربية التابع لجامعة الدول العربية، وطبعها المعهد سنة ١٩٥٥، وليست كليات الآداب وأقسام اللغة العربية فيها خاصة، محتاجة إلى معامل أصوات حاجتها إلى أن يقيم طلبتها وخريجوها عربيتهم، حتى لا يفسدوا الجيل القادم، ذلك لأن مدرس اللغة العربية الذي لا يحسن إعراب الكلمات والنطق بها نطقاً سليماً سيقول للطالب إذا سأله عن شيء من قواعد اللغة: دع عنك هذا السخف الذي لا غناء فيه، سيجيبه بذلك أو بمثله، وسينشأ جيل من الناس لا يقيم الكلام ولا يعرف القواعد، فإذا نطق ناعق عند ذلك بأن إعراب أواخر الكلمات لا داعي له، وبأن عربية القرون الأولى لغة ميتة لا وجود لها في الحياة، فسوف لا يجد هذا الناعق من يعارضه، بيد أنه سيجد مئات الآلاف من المتعلمين الذين يصيحون صيحة رجل واحد: أصبت أصبت! إننا جميعاً لا نعرف الإعراب ولا نفهمه، وأساتذتنا أيضاً لا يعرفونه ولا

٢٢- يفهمونه، بل هم يقرون بصعوبته ويقلة جدواه

الهلال س ٣٤ ص ١٠٧٦، والمعروف المشهور أن أول من دعا إلى تمصير اللغة العربية هو أحمد لطفي السيد في أوائل القرن العشرين، ومن أعجب العجب أن هذا الداعي إلى تمصير اللغة العربية قد أصبح من بعد رئيساً لمجمع اللغة العربية.

٢٣- أن يؤيدهم أهل الحل والعقد، وحيث يشير المقتطف إلى أن الأمريكيين والإنجليز كانوا يذكرونه في ذلك، ويقول إن فرض العامية كان ممكناً لو أن محمد علي قد أیده، وحمل عليه ص ١٥ - **The spoken Arabic of Egypt** الناس في كل من مصر وسوريا، وراجع كذلك ١٦ من المقدمة، وقد دعا إسكندر المعلوف الصحف والمجلات لذلك في مقاله بالهلال عام ١٩٠٢ س ١٠ ص ٣٧٣ - ٣٧٧، ولم تنجح مساعي الإنجليز في مصر، ولكنها نجحت بعد

ذلك في تركيا، حين حمل الكماليون الناس على استبعاد كل الكلمات العربية من اللغة التركية، وحرّموا عليهم تعلم اللغة العربية أو التعبير بها؛ كما قضوا على الحروف العربية، واستبدلوا بها الحروف اللاتينية.

٢٤- المقتطف، عدد يناير ١٨٨٢ مقال "الممكن"، الهلال، عدد مارس ١٩٠٢ مقال "إسكندر معلوف"، وعدد أغسطس ١٩٣٨ مقال "حسن الشريف"، وقد ردد طه حسين بعض هذه الكلمات في "مستقبل الثقافة" كما مر في الفصل الثالث ص ٢٤١ - ٢٤٢.

٢٥- الهلال، عدد يوليو ١٩٢٦ - ٣٤ ص ١٠٧٣ و١٠٧٧.

٢٦- المقتطف: ٦ ص ٤٠٤ - ٤٠٥.

٢٧- على أن الأوربيين قد أدركوا خطأهم بعد فوات الوقت، فقد بحث بعض علمائهم في استرجاع اللغة اللاتينية لكتابة العلم بها، بحيث تكون لغة العلماء كما كانت منذ بضعة قرون، ولكنهم لم يجدوا إلى الرجوع سبيلاً - "الهلال" فبراير ١٩٠٢ ص ٣٢١.

٢٨- تكلمت عن هذه المسألة في "ديوان الأعشى الكبير - شرح وتعليق" فمن شاء استيفاءها فليراجعها هناك في التعليق على القصيدة رقم ٤٣.

٢٩- المقتطف س ٢٧ ص ١٨٧ - ١٩١.

٣٠- راجع تعليق مجلة الرابطة الشرقية على ذلك، العدد الأول من السنة الأولى ص ١٣، وراجع كذلك "حاضر العالم الإسلامي" ٣: ٣٨٩ وما بعدها.

٣١- تقدم عبدالعزيز فهمي بهذا الاقتراح إلى مجمع اللغة العربية في جلسة ٣ - ٥ - ١٩٤٣، راجع الجزء السادس من مجلة المجمع - المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٩٥١ في مواضع متفرقة منه.

٣٢- الهلال س ٤٠ ص ١٣٨٥ - ١٣٨٩.

٣٣- الهلال، أول مايو ١٩٤٣ - ١٧ محرم ١٣٥٣ - س ٤٢ ص ٨٢٩ - ٨٣٣.

٣٤- لهلال، أول مارس ١٩٣٦ - ٧ ذي الحجة ١٢٥٤ س ٤٤ ص ٥١٧ - ٥١٩

٣٥- راجع مجلة مجمع اللغة العربية العدد ٦ ص ١٨٨

٣٦- الواقع أن السنوات الألف التي عاشتها هذه القواعد ونجحت خلالها في إقامة السنة الناس وفي صيانة اللغة أصدق شهادة من كل ما يزعمون، وهذه المشاريع المزعومة - زيادة على أنها تفرق الناس - تحتاج إلى ألف سنة أخرى تثبت فيها نجاحها، لكي يقال أنها تساوي القواعد القديمة، فضلاً عن أن يقال إنها تفضلها، فلماذا نترك ما أثبتت صلاحيته عشرة قرون أو أكثر، إلى ما لا تثبت صلاحيته إلا بعد عشرة قرون؟ إن العلة الحقيقية ليست في صعوبة القواعد، ولكنها في إهمال تعليمها والتفريط في تدريسها، والإسراف في الكلام عن إصلاح قواعد اللغة العربية، لأن الحكومة حين تنادي بذلك تسلم بأنها معقدة حقاً، وهي بهذا تعين على صرف الطلاب عنها وتنفيرهم منها، كما تعين على تنمية الوهم الذي يملأ نفوسهم، والذي يصور لهم استحالة الإلمام بقواعد النحو.

٣٧- من الواضح أن المسلمين لا يصيرون أمة واحدة حتى تكون لغتهم واحدة، وإذا كان الذين يتكلمون العربية الآن ينادون بالتخلي عنها، فلأي شيء يتعلمها الذين لا يتكلمونها، وهم إنما يريدون أن يتعلموها ليتيسر لهم التفاهم مع الذين يتكلمونها، والعجب أننا نطالب بالاعتراف باللغة العربية في المجامع الدولية، فأبي هذه اللهجات - في زعم دعاة السوقية - يريدون أن تكون هي اللغة المعترف بها؟

٣٨- راجع الفقرة ٢ من الفصل السادس في رقمي ٥، ٦

٣٩- السياسة الأسبوعية، العدد الثالث ١٣ رمضان ١٣٤٤ - ٢٧ مارس ١٩٢٦ ص ٩